بسم الله الرحمن الرحيم

● لم يلد ولم يولد

صديقى رجل يحب الجدل ويهوى الكلام وهو يعتقد اننا نحن المؤمنون السذج نقتات بالاوهام ونضحك على أنفسنا بالجنة والحور العين وتفوتنا لذات الدنيا ومفاتنها ٠٠ وصديقى بهذه المناسبة تخرج من فرنسا وحصل على دكتوراه وعاش مع الهيبيز واصبح ينكر كل شىء ٠

قال لى ساخرا :

ـ انتم تقولون : ان الله موجود ، وعمدة براهينكم هو قانون « السببية » الذى ينص على ان لكل صنعة صانعا ولكل خلق خالقا ولكل وجود موجدا ٠٠ النسيج يدل على النساج والرسم على الرسام والنقش على النقاش والكون بهذا المنطق أبلغ دليل على الاله القدير الذى خلقه ٠

صدقنا وآمنا بهذا الخالق ٠٠ الا يحق لنا بنفس المنطق ان نسال ٠٠ ومن خلق الخالق ٠٠ من خلق الله الذى تحدثوننا عنه ٠٠ ألا تقودنا نفس استدلالاتكم الى هذا ٠٠ وتبعا لنفس قانون السببية ٠٠ ما رايكم فى هذا المطب دام فضلكم ؟٠

ونحن نقول له : سؤالك فاسد ٠٠ ولا مطب ولا حاجة فانت تسلم بأن الله خالق ثم تقول من خلقه ؟! فتجعل منه

خالقا ومخلوقا فى نفس الجملة وهذا تناقض ٠

والوجه الآخر لفساد السؤال أنك تتصور خضوع الخالق لقوانين مخلوقاته ٠٠ فالسببية قانوننا نحن ابناء الزمان والمكان ٠

والله الذى خلق الزمان والمكان هو بالضرورة فوق الزمان والمكان ولا يصح لنا ان نتصوره مقيدا بالزمان والمكان ولا بقوانين الزمان والمكان ٠

والله هو الذى خلق قانون السببية فلا يجوز أن نتصوره خاضعا لقانون السببية الذى خلقه ٠

وأنت بهذه السفسطة أشبه بالعرائس التى تتحرك بزمبلك وتتصور أن الانسان الذى صنعها لابد هو الآخر يتحرك بزمبلك ٠٠ فاذا قلنا لها بل هو يتحرك من تلقاء نفسه ٠٠ قالت : مستحيل أن يتحرك شىء من تلقاء نفسه ٠٠ انى أرى فى عالمى كل شىء يتحرك بزمبلك ٠

وأنت بالمثل لا تتصور أن الله موجود بذاته بدون موجد ٠٠ لمجرد أنك ترى كل شىء حولك فى حاجة الى موجد ٠

وأنت كمن يظن أن الله محتاج الى براشوت لينزل على البشر والى اتوبيس سريع ليصل الى أنبيائه ، سبحانه وتعالى عن هذه الاوصاف علوا كبيرا ٠

« وعمانويل كانت » الفيلسوف الالمانى فى كتابه « نقد العقل الخالص » ادرك أن العقل لا يستطيع أن يحيط بالحقائق اللامحدودة وانه مهيأ بطبيعته لادراك الجزئيات فقط بينما هو قاصر عن ادراك الوجود الكلى مثل الوجود الالهى ٠٠ وانما عرفنا الله بالضمير وليس بالعقل ٠٠ شوقنا الى العدل كان دليلنا على وجود العادل ٠٠ كما أن ظمأنا الى الماء هو دليلنا على وجود الماء ٠

اما أرسطو فقد استطرد فى تسلسل الاسباب قائلا : ان الكرسى من الخشب والخشب من الشجرة والشجرة من البذرة والبذرة من الزارع ٠٠ واضطر الى القول بان هذا

الاستطراد المتسلسل فى الزمن اللانهائي لابد وأن ينتهى بنا فى البدء الاول الى سبب فى غير حاجة الى سبب ٠٠ سبب أول أو محرك أول فى غير حاجة الى من يحركه ٠٠ خالق فى غير حاجة الى خالق ٠٠ وهو نفس ما نقوله عن الله ٠

أما ابن عربى فكان رده على هذا السؤال (سؤال من خلق الخالق) ٠٠ بأنه سؤال لا يرد الا على عقل فاسد ٠٠ فالله هو الذى يبرهن على الوجود ولا يصح أن نتخذ من الوجود برهانا على الله ٠٠ تماما كما نقول أن النور يبرهن على النهار ٠٠ ونعكس الآية لو قلنا ان النهار يبرهن على النور ٠

يقول الله فى حديث قدسى :

(انا يستدل بى ٠٠ انا لا يستدل على) ٠

فالله هو الدليل الذى لا يحتاج الى دليل لان الله هو الحق الواضح بذاته ٠٠ وهو الحجة على كل شىء ٠٠ الله ظاهر فى النظام والدقة والجمال والاحكام ٠٠ فى ورقة الشجر ٠٠ فى ريشة الطاووس فى جناح الفراش ٠٠ فى عطر الورد ٠٠ فى صدح البلبل ٠٠ فى ترابط النجوم والكواكب فى هذا القصيد السيمفونى الذى اسمه الكون ٠٠ لو قلنا ان كل هذا جاء صدفة ٠٠ لكنا كمن يتصور أن القاء حروف مطبعة فى الهواء يمكن أن يؤدى الى تجمعها تلقائيا على شكل قصيدة شعر لشكسبير بدون شاعر وبدون مؤلف ٠

والقرآن يغنينا عن هذه المجادلات بكلمات قليلة وبليغة فيقول بوضوح قاطع ودون تفلسف :

« قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد » ٠

●

ويسألنا صاحبنا ساخرا ٠٠ ولماذا تقولون أن الله واحد ٠٠ لماذا لا يكون الالهة متعددين ٠٠ يتوزعون بينهم الاختصاصات ٠

وسوف نرد عليه بالمنطق الذى يعترف به .. بالعلم وليس بالقرآن .

سوف نقول له ان الخالق واحد لان الكون كله مبنى من خامة واحدة وبخطة واحدة .. فمن الايدروجين تألفت العناصر الاثنان والتسعون التى فى جدول مندليف بنفس الطريقة « بالادماج » واطلاق الطاقة الذرية التى تتاجج بها النجوم وتشتعل الشموس فى فضاء الكون .

كما أن الحياة كلها بنيت من مركبات الكربون (جميع صنوف الحياة تتفحم بالاحتراق) على مقتضى خطة تشريحية واحدة . تشريح الضفدعة والارنب والحمامة والتمساح والزرافة والحوت يكشف عن خطة تشريحية واحدة نفس الشرايين والاوردة وغرفات القلب .. ونفس العظام كل عظمة لها نظيرتها .. الجناح فى الحمامة هو الذراع فى الضفدعة .. نفس العظام مع تحور طفيف .. والعنق فى الزرافة على طوله نجد فيه نفس الفقرات السبع التى نجدها فى عنق القنفذ .. والجهاز العصبى هو هو فى الجميع يتألف من مخ وحبل شوكى واعصاب حس واعصاب حركة .. والجهاز الهضمى من معدة « واثنا عشر » وامعاء دقيقة وامعاء غليظة .. والجهاز التناسلى نفس المبيض والرحم والخصية وقنواتها .. والجهاز البولى . الكلية والحالب . وحويصلة البول .. ثم الوحدة التشريحية فى الجميع هى الخلية .. وهى فى النبات كما فى الحيوان كما فى الانسان نفس المواصفات .. تتنفس وتتكاثر وتموت وتولد بنفس الطريقة .

فأية غرابة بعد هذا أن نقول ان الخالق واحد .

ولماذا يتعدد الكامل .. وهل به نقص ليحتاج الى من يكمله .

انما يتعدد الناقصون .

ولو تعدد الالهة لاختلفوا ولذهب كل اله بما خلق ولتصدعت السموات والارض .

والله له الكبرياء والجبروت وهذه صفات لا تحتمل الشركة .

●

ويسخر صاحبنا من معنى الربوبية كما نفهمه ·· ويقول أليس عجيبا ذلك الرب الذى يتدخل فى كل صغيرة وكبيرة فيأخذ بناصية الدابة ويوحى الى النحل أن تتخذ من الجبال بيوتا ·· وما تسقط من ورقة الا يعلمها ·· وما تخرج من ثمرات من اكمامها الا احصاها عددا ·· وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه ·· اذا عثرت قدم فى حفرة فهو الذى أعثرها ·· واذا سقطت ذبابة فى طعام فهو الذى اسقطها ·· واذا تعطلت الحرارة فى تليفون فهو الذى عطلها ·· واذا امتنع المطر فهو الذى منعه واذا هطل فهو الذى اهطله ·· الا تشغلون الهكم بالكثير التافه من الامور بهذا الفهم ·

ولا افهم ايكون الرب فى نظر السائل اجدر بالربوبية لو انه أعفى نفسه من هذه المسئوليات واخذ اجازة وأدار ظهره للكون الذى خلقه وتركه يأكل بعضه بعضا ·

هل الرب الجديد فى نظره هو رب عاطل مغمى عليه لا يسمع ولا يرى ولا يستجيب ولا يعتنى بمخلوقاته ثم من اين للسائل بالعلم بان موضوعا ما تافه لا يستحق تدخل الاله وموضوعا آخر مهم وخطير الشان ·

ان الذبابة التى تبدو تافهة فى نظر السائل فلا يهم فى نظره أن تسقط فى الطعام أو لا تسقط هذه الذبابة يمكن ان تغير التاريخ بسقوطها التافه ذلك ·· فانها يمكن أن تنقل الكوليرا الى جيش وتكسب معركة لطرف آخر تتغير بعدها موازين التاريخ كله ·

الم تقتل الاسكندر الاكبر بعوضة ·

ان أتفه المقدمات ممكن أن تؤدى الى اخطر النتائج ·· واخطر المقدمات ممكن أن تنتهى الى لا شىء ·· وعالم الغيب وحده هو الذى يعلم قيمة كل شىء ·

وهل تصور السائل نفسه وصيا على الله يحدد له اختصاصاته ·· تقدس وتنزه ربنا عن هذا التصور الساذج ·

انما الاله الجدير بالالوهية هنا هو الاله الذى احاط بكل شىء علما ·· لايعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء · الاله السميع المجيب المعتنى بمخلوقاته ·

● إذا كان الله قدّر علىّ

أفعالى فلماذا يحاسبنى؟

قال صديقى فى شماتة وقد تصــور أنه أمســكنى من عنقى وأنه لا مهرب لى هذه المرة ٠

ـ انتم تقولون انالله يجرى كل شىء فى مملكته بقضـــاء وقدر وان الله قدر علينا أفعالنا ، فاذا كان هذا هو حالى ٠٠ وان افعالى كلها مقدرة عنده فلماذا يحاسبنى عليها ٠

لا تقل لى كعادتك ٠٠ أنا مخير ٠٠ فليس هناك فرية أكبر من هذه الفرية ٠

ودعني اسالك ٠

هل خـيرت فى ميلادى وجنسى وطـولى وعـــرضى ولـونى ووطنى ؟؟

هل باختيارى تشرق الشمس ويغرب القمر ؟؟

هل باختيارى ينزل على القضاء ويفاجئنى الموت وأقــع فى المأساة فلا أجد مخرجا الا الجريمة ٠٠ لماذا يكرهنى الله عــلى فعل ثم يؤاخذنى عليه ؟

واذا قلت انك حر وان لك مشيئة الى جوار مشيئة اللـــه ألا تشرك بهذا الكلام وتقع فى تعدد المشيئات ٠

ثم ماقولك في حكم البيئة والظروف وفي الحتميات التي يقول بها الماديون التاريخيون ·

اطلق صاحبي هذه الرصاصات ثم راح يتنفس الصعداء في راحة وقد تصور اني توفيت وانتهيت ولم يبق أمامه الا استحضار الكفن ·

قلت له في هدوء :

ـ أنت واقع في عدة مغالطات ·· فافعالك معلومة عند الله في كتابه ، ولكنها ليست مقدورة عليك بالاكراه ·· انها مقدرة في علمه فقط ·· كما تقدر أنت بعلمك ان ابنك سوف يزني ·· ثم يحدث ان يزني بالفعل ·· فهل اكرهته ·· أم كان هذا تقديرا في العلم وقد أصاب علمك ·

اما كلامك عن الحرية بأنها فرية وتدليلك على ذلك بانك لم تخير في ميلادك ولا في جنسك ولا في طولك ولا في لونك ولا في موطنك ·· وانك لاتملك نقل الشمس من مكانها ·· فهو تخليط آخر ·

وسبب التخليط هذه المرة أنك تتصور الحرية بطريقة غير تلك التي نتصورها نحن المؤمنون ·

انت تتكلم عن حرية مطلقة ·· فتقول ·· أكنت استطيع ان اخلق نفسي أبيض او أسود او طويلا أو قصيرا ·· هل بامكاني أن أنقل الشمس من مكانها أو اوقفها في مدارها ·· أين حريتي ·

ونحن نقول له ·· أنت تسأل عن حرية مطلقة ·· حرية التصرف في الكون وهذه ملك لله وحده ·· نحن أيضا لا نقول بهذه الحرية :

(وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة)
٦٨ ـ القصص

ليس لأحد الخيرة في مسألة الخلق لان الله هو الذى يخلق ما يشاء ويختار ·

ولن يحاسبك الله على قصرك ولن يعاتبك على طولك ولـن يعاقبك لانك لم توقف الشمس فى مدارها ·
ولكن مجال المساءلة هو مجـال التكليف ·· وانت فى هذا المجال حر ·· وهذه هى الحدود التى نتكلم فيها ·
انت حر فى ان تقمع شهوتك وتلجم غضبك وتقاوم نفسك وتزجر نياتك الشريرة وتشجع ميولك الخيرة ·

انت تستطيع ان تجود بمالك ونفسك ·
انت تستطيع ان تصدق وان تكذب ·
وتستطيع ان تكف يدك عن المال الحرام ·
وتستطيع ان تكف بصرك عن عورات الآخرين ·
وتستطيع أن تمسك لسانك عن السباب والغيبة والنميمة ·
فى هذا المجال نحن احرار ·
وفى هذا المجال نحاسب ونسال ·

الحرية التى يدور حولها البحث هى الحرية النسبية وليست الحرية المطلقة · حرية الانسان فى مجال التكليف ·
وهذه الحرية حقيقة ودليلنا عليها هو شعورنا الفطرى بهـا فى داخلنا ·· فنحن نشعر بالمسئولية وبالندم عـلى الخطأ وبالراحة للعمل الطيب ·· ونحن نشعر فى كل لحظة أننـا نختار ونوازن بين احتمالات متعـددة ، بل ان وظيفـة عقلنـا الاولى هى الترجيح والاختيار بين البديلات ·
ونحن نفرق بشكل واضح وحاسم بين يدنا ترتعش بالحمى ويدنا وهى تكتب خطابا ·· فنقول ان الحركة الاولى جبرية قهرية والحركة الثانية حرة اختيارية ·· ولو كنا مسيرين فى الحالتين لما استطعنا التفرقة ·

ويؤكد هذه الحرية مانشعر به من استحالة اكراه القلب على شىء لايرضاه تحت اى ضغط ، فيمكنك ان تكره امرأة بالتهديد والضرب على ان تخلع ثيابها ·· ولكنك لاتستطيع بأى ضـغط أو تهديد ان تجعلها تحبك من قلبها ·· ومعنى هذا أن اللـه

أعتق قلوبنا من كل صنوف الاكـراه والاجبـار وانه فطرهـا حـرة ٠

ولهذا جعل الله القلب والنية عمدة الاحكام ، فالمؤمن الذى ينطق بعبارة الشرك والكفر تحت التهديد والتعذيب لايحاسب على ذلك طالما ان قلبه من الداخل مطمئن بالايمان وقد استثناه الله من المؤاخذة فى قوله :

(الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) ١٠٦ ـ النحل

والوجه الآخر من الخلط فى هذه المسـألة ان بعض الناس يفهم حرية الانسان بأنها علو على المشيئة وانفراد بالامر فيتهم القائلين بالحرية بانهم اشركوا بالله وجعلوا له اندادا يأمـرون كأمره ويحكمون كحكمه وهذا مافهمته أنت أيضـا ٠٠ فقلت بتعدد المشيئات ٠٠ وهو فهم خاطئ ٠٠ فالحرية الانسـانية لاتعلو على المشيئة الالهية ٠٠

ان الانسان قد يفعل بحريته ما ينافى الرضا الالهى ولكنـه لايستطيع ان يفعل ماينافى المشيئة ٠

الله اعطانا الحرية ان نعلو على رضاه (فنعصيه) ، ولكـن لم يعط أحدا الحرية فى ان يعلو على مشيئته ٠٠ وهنا وجـه آخر من وجوه نسبية الحرية الانسانية ٠

وكل مايحدث منا داخل فى المشيئة الالهية وضـمنها وان خالف الرضا الالهى وجانب الشريعة ٠

وحريتنا ذاتها كانت منحة الهية وهبة منحهـا لنـا الخـالق باختياره ٠٠ ولم نأخذها منه كرها ولا غصبا ٠

ان حريتنا كانت عين مشيئته ٠

ومن هنا معنى الآية :

(وما تشاؤون الا أن يشاء الله) ٣٠ ـ الانسان

لان مشيئتنا ضمن مشيئته ٠٠ ومنحة منه ٠٠ وهبة مـن كرمه وفضله ٠٠ فهى ضمن ارادته ، لاثنائية ولا تنـاقض ٠٠ ولامنافسة منا لامر الله وحكمه ٠

والقول بالحرية بهذا المعنى لاينافى التوحيد ، ولا يجعل لله

أندادا يحكمون كحكمه ويأمرون كأمره ٠٠ فان حرياتنا كانت عين أمره ومشيئته وحكمه ٠

والوجه الثالث للخلط أن بعض من تناولوا مسألة القضاء والقدر والتسيير والتخيير ٠٠ فهموا القضاء والقدر بأنه اكراه للانسان على غير طبعه وطبيعته وهذا خطأ وقعت فيه أنت أيضا ٠٠ وقد نفى الله عن نفسه الاكراه بآيات صريحة :

(ان نشا ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين) ٤ ـ الشعراء

والمعنى واضح ٠٠ انه كان من الممكن أن نكره الناس على الايمان بالآيات الملزمة ولكننا لم نفعل ٠٠ لانه ليس فى سنتنا الاكراه ٠

(لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) ٢٥٦ ـ البقرة

(ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) ٩٩ ـ يونس

ليس فى سنة الله الاكراه ٠

والقضاء والقدر لايصح ان يفهم انه اكراه للناس على غير طبائعهم ٠٠ وانما على العكس ، الله يقضى على كل انسان من جنس نيته ويشاء له من جنس مشيئته ويريد له من جنس ارادته ، لاثنائية ٠٠ تسيير الله هو عين تخيير العبد لان الله يسير كل امرىء على هوى قلبه وعلى مقتضى نياته ٠

(من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها) ٢٠ ـ الشورى

(فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) ١٠ ـ البقرة

(والذين اهتدوا زادهم هدى) ١٧ ـ محمد

وهو يخاطب الاسرى فى القرآن ٠

(ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم) ٧٠ ـ الانفال

الله يقضى ويقدر ويجرى قضاءه وقدره على مقتضى النية والقلب ٠٠ أن شرا بشر وأن خيرا بخير ٠

ومعنى هذا انه لاثنائية ٠٠ التسيير هو عين التخيير ولا ثنائية ولا تناقض ٠

الله يسيرنا الى ما اخترناه بقلوبنا ونياتنا فلا ظلم ولا اكراه ولا جبر ٠٠ ولا قهر لنا على غير طبائعنا ٠

(فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) ٥ ـ ١٠ ـ الليل

(ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى) ١٧ ـ الانفال

هنا تلتقى رمية العبد والرمية المقدرة من الرب فتكون رمية واحدة ٠٠ وهذا مفتاح لغز القضاء والقدر ٠٠ على العبد النية وعلى الله التمكين ان خيرا بخير وان شرا بشر ٠

والحرية الانسانية ليست مقدارا ثابتا ولكنها قدرة نسبية قابلة للزيادة ٠

الانسان يستطيع ان يزيد من حريته بالعلم ٠٠ باختراع الوسائل والادوات والمواصلات استطاع الانسان ان يطوى الارض ويهزم المسافات ويخترق قيود الزمان والمكان ٠٠ وبدراسة قوانين البيئة استطاع أن يتحكم فيها ويسخرها لخدمته وعرف كيف يهزم الحر والبرد والظلام وبذلك يضاعف من حرياته فى مجال الفعل ٠

العلم كان وسيلة الى كسر القيود والاغلال واطلاق الحرية ٠

أما الوسيلة الثانية فكانت الدين ٠٠ الاستمداد من الله بالتقرب منه ٠٠ والاخذ عنه بالوحى والتلقى والتأييد ٠٠ وهذه وسيلة الانبياء ومن فى دربهم ٠

سخر سليمان الجن وركب الريح وكلم الطير بمعونة الله ومدده ٠٠ وشق موسى البحر ٠٠ وأحيا المسيح الموتى ومشى على الماء وابرا الاكمة والابرص والاعمى ٠

ونقرأ عن الاولياء اصحاب الكرامات الذين تطوى لهم الارض وتكشف لهم المغيبات ٠

وهى درجات من الحرية اكتسبوها بالاجتهاد فى العبادة

والتقرب الى الله والتحبب اليه .. فأفاض عليهم من علمه المكنون .

انه العلم مرة أخرى .

ولكنه هذه المرة العلم « اللدنى » .

ولهذا يلخص أبو حامد الغزالى مشكلة المخير والمسير قائلا فى كلمتين :

الانسان مخير فيما يعلم ..

مسير فيما لايعلم ..

وهو يعنى بهذا انه كلما اتسع علمه كلما اتسع مجال حريته .. سواء كان العلم المقصود هو العلم الموضوعى أو العلم اللدنى .

●

ويخطيء المفكرون الماديون أشد الخطأ حينما يتصورون الانسان أسير الحتميات التاريخية والطبقية ويجعلون منه حلقة فى سلسلة من الحلقات لا فكاك له ولا مهرب من الخضوع لقوانين الاقتصاد وحركة المجتمع وكأنما هو قشة فى تيار بلا ذراعين وبلا ارادة ..

والكلمة التى يرددونها ولا يتعبون من ترديدها وكأنها قانون .. « حتمية الصراع الطبقى » .. هى كلمة خاطئة فى التحليل العلمى .. لانه لا حتميات فى المجال الانسانى .. وانما على الاكثر ترجيحات واحتمالات .. وهذا هو الفرق بين الانسان .. وبين التروس والآلات والاجسام المادية .. فيمكن التنبؤ بحسوف الشمس بالدقيقة والثانية ويمكن التنبؤ بحركاتها المستقبلة على مدى أيام وسنين .. اما الانسان فلايمكن ان يعلم أحد ماذا يضمر وماذا يخبيء فى نياته وماذا يفعل غدا أو بعد غد .. ولا يمكن معرفة هذا الا على سبيل الاحتمال والترجيح والتخمين وذلك على فرض توفر المعلومات الكافية للحكم .

وقد اخطأت جميع تنبؤات كارل ماركس فلم تبدأ الشيوعية

في بلد متقدم كما تنبأ بل في بلد متخلف . ولم يتفاقم الصراع بين الرأسمالية والشيوعية بل تقارب الاثنان الى حالة من التعايش السلمي وأكثر من هذا فتحت البلاد الشيوعية أبوابها لرأس المال الامريكي ٠٠ ولم تتصاعد التناقضات في المجتمع الرأسمالي الى الافلاس الذى توقعه كارل ماركس بل على العكس ازدهر الاقتصاد الرأسمالي ووقع الشقاق والخلاف بين أطراف المعسكر الاشتراكي ذاته ٠

أخطأت حسابات ماركس جميعها دالة بذلك على خطأ منهجه الحتمى ٠٠ ورأينا صراع العصر الذى يحرك التاريخ هو الصراع اللاطبقي بين الصين وروسيا وليس الصراع الطبقي الذى جعله ماركس عنوان منهجه ٠٠ وكلها شواهد على فشل الفكر المادى في فهم الانسان والتاريخ وتخبطه في حساب المستقبل ٠٠ وجاء كل ذلك نتيجة خطأ جوهرى ٠٠ ان الفكر المادى تصور ان الانسان ذبابة في شبكة من الحتميات ٠٠ ونسى تماما ان الانسان حر ٠٠ وأن حريته حقيقة ٠

أما كلام الماديين عن حكم البيئة والمجتمع والظروف وان الانسان لا يعيش وحده ولا تتحرك حريته في فراغ ٠

نقول ردا على هذا الكلام أن حكم البيئة والمجتمع والظروف كمقاومات للحرية الفردية يؤكد المعنى الجدلى لهذه الحرية ولا ينفيه ٠٠ فالحرية الفردية لا تؤكد ذاتها الا في وجه مقاومة تزحزحها ٠٠ أما اذا كان الانسان يتحرك في فراغ بلا مقاومة من أى نوع فانه لا يكون حرا بالمعنى المفهوم للحرية لانه لن تكون هناك عقبة يتغلب عليها ويؤكد حريته من خلالها ٠



● لماذا خلق الله الشر؟

قال صاحبى ساخرا :

كيف تزعمون أن الهكم كامل ورحمن ورحيم وكريم ورءوف وهو قد خلق كل هذه الشرور فى العالم.. المرض والشيخوخة والموت والزلزال والبركان والميكروب. والسم والحر والزمهرير وآلام السرطان التى لا تعفى الطفل الوليد ولا الشيخ الطاعن .

أذا كان الله محبة وجمالا وخيرا فكيف يخلق الكراهية والقبح والشر .

والمشكلة التى أثارها صاحبى من المشاكل الاساسية فى الفلسفة وقد انقسمت حولها مدارس الفكر واختلفت حولها الآراء .

ونحن نقول : ان الله كله رحمة وكله خير وانه لم يأمر بالشر ولكنه سمح به لحكمة .

(ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون . قل أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد)

٢٨ ـ الاعراف

الله لا يأمر الا بالعدل والمحبة والاحسان والعفو والخير وهو لا يرضى الا بالطيب .

فلماذا ترك الظالم يظلم والقاتل يقتل والسارق يسرق ٠
لان الله أرادنا أحرارا ٠٠ والحرية اقتضت الخطأ ولا معنى للحرية دون أن يكون لنا حق التجربة والخطأ والصواب ٠٠ والاختيار الحر بين المعصية والطاعة ٠
وكان في قدرة الله أن يجعلنا جميعا أخيارا وذلك بأن يقهرنا على الطاعة قهرا وكان ذلك يقتضي أن يسلبنا حرية الاختيار ٠
وفي دستور الله وسنته أن الحرية مع الالم أكرم للانسان من العبودية مع السعادة ٠٠ ولهذا تركنا نخطىء ونتألم ونتعلم وهذه هي الحكمة في سماحه بالشر ٠
ومع ذلك فان النظر المنصف المحايد سوف يكشف لنا أن الخير في الوجود هو القاعدة وأن الشر هو الاستثناء ٠٠ فالصحة هي القاعدة والمرض استثناء ونحن نقضي معظم سنوات عمرنا في صحة ولا يزورنا المرض الا أياما قليلة ٠٠ وبالمثل الزلازل هي في مجملها بضع دقائق في عمر الكرة الارضية الذي يحصى بملايين السنين وكذلك البراكين وكذلك الحروب هي تشنجات قصيرة في حياة الامم بين فترات سلام طويلة ممتدة ٠
ثم اننا نرى لكل شي وجه خير فالمرض يخلف وقاية والالم يربي الصلابة والجلد والتحمل والزلازل تنفس عن الضغط المكبوت في داخل الكرة الارضية وتحمي القشرة الارضية من الانفجار وتعيد الجبال الى أماكنها كأحزمة وثقالات تثبت القشرة الارضية في مكانها ، والبراكين تنفث المعادن والثروات الخبيئة الباطنة وتكسو الارض بتربة بركانية خصبة ٠٠ والحروب تدمج الامم وتلقح بينها وتجمعها في كتل وأحلاف ثم في عصبة أمم ثم في مجلس أمن هو بمثابة محكمة عالمية للتشاكي والتصالح ٠٠ وأعظم الاختراعات خرجت أثناء الحروب ٠٠ البنسلين الذرة الصواريخ الطائرات النفاثة كلها خرجت من أتون الحروب ٠
ومن سم الثعبان يخرج الترياق ٠

ومن الميكروب نصنع اللقاح ·
ولولا أن أجدادنا ماتوا لما كنا الآن في مناصبنا · والشر في الكون كالظل في الصورة اذا اقتربت منه خيل اليك أنه عيب ونقص في الصورة ·· ولكن اذا ابتعدت ونظرت الى الصورة ككل نظرة شاملة اكتشفت أنه ضرورى ولا غنى عنه وانه يؤدى وظيفة جمالية في البناء العام للصورة ·
وهل كان يمكننا أن نعرف الصحة لولا المرض·· ان الصحة تظل تاجا على رؤوسنا لا نراه ولا نعرفه الا حينما نمرض ·
وبالمثل ما كان ممكنا أن نعرف الجمال لولا القبح ولا الوضع الطبيعى لولا الوضع الشاذ ·
ولهذا يقول الفيلسوف أبو حامد الغزالى : ان نقص الكون هو عين كماله مثل اعوجاج القوس هو عين صلاحيته ولو انه استقام لما رمى ·
وظيفة أخرى للمشقات والآلام ·· انها هى التى تفرز الناس وتكشف معادنهم ·

لولا المشقة ساد الناس كلهم
الجود يفقر والاقدام قتال

انها الامتحان الذى نعرف به أنفسنا ·· والابتلاء الذى تتحدد به مراتبنا عند الله ·
ثم ان الدنيا كلها ليست سوى فصل واحد من رواية سوف تتعدد فصولها فالموت ليس نهاية القصة ولكن بدايتها ·
ولا يجوز أن نحكم على مسرحية من فصل واحد ولا أن نرفض كتابا لان الصفحة الاولى لم تعجبنا ·
الحكم هنا ناقص ·
ولا يمكن استطلاع الحكمة كلها الا فى اخر المطاف ·· ثم ما هو البديل الذى يتصوره السائل الذى يسخر منا ·
هل يريد أن يعيش حياة بلا موت بلا مرض بلا شيخوخة بلا نقص بلا عجز بلا قيود بلا أحزان بلا آلام ·
هل يطلب كمالا مطلقا ·
ولكن الكمال المطلق لله ·

والكامل واحد لا يتعدد ‥ ولماذا يتعدد ‥ وماذا ينقصه ليجده في واحد آخر غيره ٠

معنى هذا ان صاحبنا لن يرضيه الا ان يكون هو الله ذاته وهـــو التطاول بعينه ٠

ودعونا نسخر منه بدورنا ‥ هو وامثاله ممن لا يعجبهم شيء ٠

هؤلاء الذين يريدونها جنـــة ٠

ماذا فعلوا ليستحقونها جنة ٠

وماذا قدم صاحبنا للانسانية ليجعل من نفسه الله الواحد القهار الذى يقول للشيء كن فيكون ٠

ان جدتى أكثر ذكاء من الاستاذ الدكتور المتخرج من فرنسا بينما تقول في بســاطة :

« خير من الله شر من نفوسنا » ٠

انها كلمات قليلة ولكنها تلخيص امين للمشــكلة كلها ‥ فالله ارسل الرياح واجرى النهر ولكن ربان السفينة الجشـــع ملأ سفينته بالناس والبضائع بأكثر مما تحتمل فغرقت فمضى يسب الله والقدر ‥ وما ذنب الله ‥ الله أرسل الرياح رخاء واجرى النهر خيرا ‥ ولكن جشع النفوس وطمعها هو الذى قلب هـــذا الخير شرا ٠

ما اصدقها من كلمات جميلة طيبة

« خير من الله شر من نفوسنا » ٠



● وما ذنب الذى لم يصله قرآن؟

هرش صاحبنا الدكتور راسه ·
كان من الواضح أنه يبحث لى فى الدكتـــوراه عن حفرة أو مطب يدق عنقى فيه ·· ثم قال فى هدوء وهو يرتب كلماته:
ــ حسنا ·· وما رأيك فى هـــذا الانسان الذى لم يصله قرآن ولم ينزل عليه كتاب ·· ولم يأته نبى ·· ما ذنبه ·· وما مصيره عندكم يوم الحساب ·· مثل اسكيمو فى أقاصى القطبين ·· أو زنجى فى الغابات ·· ماذا يكون حظه بين يدى الهكم يوم القيامة ·
قلت له :
ــ دعنى أصحح معلوماتك أولا ·· فقد بنيت أسئلتك على مقدمة خاطئة ·· فالله أخبرنا بأنه لم يحرم أحــدا من رحمته ووحيه وكلماته وآياته ·

(وان من أمة الا خلا فيها نذير) ٢٤ ــ فاطر
(ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا) ٣٦ ــ النحل

والرسل الذين جاء ذكرهم فى القرآن ليسوا كل الرسل· وانما هناك آلاف غيرهم لا نعلم عنهم شيئا ·· والله يقول لنبيه عن الرسل :

(منهم من قصصنا عليــك ومنهم من لم نقصص عليــك)
٧٨ ــ غافر

والله يوحى الى كل شىء حتى النحل ·
(واوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبــال بيوتا ومن

وقد يكون الوحي كتابا يلقيه جبريل ·· وقد يكون نورا يلقيه الله في قلب العبد ·· وقد يكون انشراحا في الصدر ·· وقد يكون حكمة وقد يكون حقيقة وقد يكون فهما وقد يكون خشوعا ورهبة وتقوى ·

وما من أحد يرهف قلبه ويرهف سمعه الا ويتلقى من الله فضلا ·

أما الذين يصمون آذانهم وقلوبهم فلا تنفعهم كتب ولا رسل ولا معجزات ولو كثرت ·

والله قال انه يختص برحمته من يشاء ·· وانه لا يسأل عما يفعل ·

وقد يريد الله لحكمة يعلمها أن ينذر أحدا وأن يعذر آخر فيقبل منه أهون الايمان ·

ومن يدرينا ·· ربما كانت مجرد لفتة من ذلك الزنجى البدائى الى السماء فى رهبة هى عند الله منجية ومقبولة أكثر من صلاتنا ·

على أن القراءة المتأملة لأديان هؤلاء الزنوج البدائيين تدل على أنه كان لهم رسل ورسالات سماوية مثل رسالاتنا ·

فى قبيلة الماو ماو مثلا نقرأ أنهم يؤمنون باله يسمونه « موجايى » ويصفونه بأنه واحد أحد لم يلد ولم يولد وليس له كفو ولا شبيه ·· وانه لا يرى ولا يعرف الا من آثاره وأفعاله ·· وانه خالق رازق وهاب رحيم يشفى المريض وينجد المأزوم وينزل المطر ويسمع الدعاء ويصفونه بأن البرق خنجره والرعد وقع خطاه ·

أليس هذا ال « موجايى » هو الهنا بعينه · ومن أين جاءهم هذا العلم الا أن يكون فى تاريخهم رسول ومبلغ جاء به ·· ثم تقادم عليه العهد كالمعتاد فدخلت الخرافات والشعوذات فشوهت هذا النقاء الدينى ·

وفى قبيلة نيام نيام نقرأ أنهم يؤمنون باله واحد يسمونه

« مبولى » ويقولون ان كل شيء في الغابة يتحرك بارادة «مبولى» وانه يسلط الصواعق على الاشرار من البشر ·· ويكافىء الأخيار بالرزق والبركة والامان ·

وفي قبيلة الشيلوك يؤمنون باله واحد يسمونه « جوك » ويصفونه بأنه خفي وظاهر ·· وانه فى السماء وفى كل مكان وانه خالق كل شيء ·

وفى قبيلة الدنكا يؤمنون باله واحد يسمونه « نيالاك » وهى كلمة ترجمتها الحرفية ·· الذى فى السماء ·· أو الاعلى ·

ماذا نسمى هذه العقائد الا أنها اسلام ·

وماذا تكون الا رسالات كان لها فى تاريخ هؤلاء الاقوام رسل ·

ان الدين لواحد ·

(ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ٦٢ ـ البقرة

حتى الصابئين الذين عبدوا الشمس على أنها آية من آيات الله وآمنوا بالله الواحد وبالآخرة والبعث والحساب وعملوا الصالحات فلهم أجرهم عند ربهم ·

ومعلوم أن رحمة الله تتفاوت ·

وهناك من يولد أعمى وهناك من يولد مبصرا وهناك من عاش أيام موسى ورآه رأى العين وهو يشق البحر بعصاه ·· وهناك من عاش أيام المسيح ورآه يحيي الموتى ·· أما نحن فلا نعلم عن هذه الآيات الا سمعا ·· وليس الخبر كالعيان ·· وليس من رأى كمن سمع ·

ومع ذلك فالايمان وعدمه ليس رهنا بالمعجزات ·

والمكابرون المعاندون يرون العجب من أنبيائهم فلا يزيد قولهم على أن هذا « سحر مفترى » ·

ولا شك أن صاحبنا الدكتور القادم من فرنسا قد بلغه من الكتب ثلاثة ·· توراة وانجيل وقرآن وبلغته ·· فلم تزده هذه الكتب الا اغراقا فى الجدل ·· وحتى يهرب من الموقف كله

احاله على شخص مجهول فى الغابات لم ينزل عليه كتاب ..
وراح يسألنا .. وما بالكم بهذا الرجل الذى لم يصله قرآن ولم ينزل عليه كتاب .. ملتمسا بذلك ثغرة فى العدل الالهى أو موهما نفسه بأن المسألة كلها عبث .

وهو لذلك يسألنا « ولماذا تتفاوت رحمة الله » .. لماذا يشهد الله واحدا على آياته .. ولا يدرى آخر بتلك الآيات الا سمعا .

ونحن نقول انها قد لا تكون رحمة بل نقمة ألم يقل الله لأتباع المسيح الذين طلبوا نزول مائدة من السماء محذرا :

(انى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فانى اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين) ١٥ ـ المائدة

ذلك لانه مع نزول المعجزات يأتى دائما تشديد العذاب لمن يكفر .

وطوبى لمن آمن بالسماع ودون أن يرى معجزة .

والويل للذين شاهدوا ولم يؤمنوا .

فالقرآن فى يدك حجة عليك ونذير . .ويوم الحساب يصبح نقمة لا رحمة .

وعدم اقامة هذه الحجة البينة على الاسكيمو ساكن القطبين قد يكون اعفاء وتخفيفا ورحمة ومغفرة يوم الحساب .. وقد تكون لفتة الى السماء من هذا الاسكيمو الجاهل ذات ساعة فى عمره .. عند الله كافية لقبوله مؤمنا مخلصا .

أما لماذا يرحم الله واحدا أكثر مما يرحم آخر فهو أمر يؤسسه الله على علمه بالقلوب .

(فعلم ما فى قلوبهم فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا) ١٨ ـ الفتح

وعلم الله بنا وبقلوبنا يمتد الى ما قبل نزولنا فى الارحام حينما كنا عنده أرواحا حول عرشه .. فمنا من التف حول نوره .. ومنا من انصرف عنه مستمتعا بالملكوت وغافلا عن جمال خالقه .. فاستحق الرتبة الدنيا من ذلك اليوم وسبق عليه القول .. هذا كلام أهل المشاهدة .

وما نراه من تاريخنا القصير فى الدنيا ليس كل شىء ٠
ومعرفة الحكمة من كل ألم وحرمان أمر لا يعلمه الا العليم ٠
والذى يسألنى ٠٠ لماذا خلق الله الخنزير خنزيرا ٠٠ لا أملك الا أن أجيبه بأن الله اختار له ثوبا خنزيريا لان نفسه خنزيرية وأن خلقه هكذا حق وعدل ٠

وكل ما نرى حولنا من استحقاقات هى عدل لـكن معرفة الحكمة الكلية واماطة اللثام عن هذا العدل أمر ليس فى مقدور كل واحـــد ٠

ولعل لهذا السبب هنـــاك آخرة ٠٠ ويوم تنصب فيـــه الموازين وينبئنا العليم بكل ما اختلفنا فيه ٠

ومع هذا فسوف أريحك بالكلمـة الفصل ٠٠ فقد قال الله فى كتابه أنه لن يعذب الا من أنذرهم بالرسل ٠

(وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) ١٥ ـ الاسراء

هل أرحت واسترحت ٠

ثم دعنى أقول لك يا صاحبى ٠

ان أعجب ما فى سؤالك أن ظاهره يوهم بالايمان والاشفاق على الزنجى المسكين الذى فاته ما فى القرآن من نور ورحمة وهدى ٠٠ مع أن حقيقتك هى الكفر بالقرآن وبنوره ورحمته وهداه ٠٠ فسؤالك أقرب ما يكون الى الاستدراج والمخادعة وفيه مناقضة للنفس هى «اللكاعة» بعينها ٠٠ فأنت تحاول أن تقيم علينا حجة هى عندك ليس لها أى حجة ٠

الا ترى معى يا صاحبى أن جهاز المنطق عندك فى حاجـــة الى اصـــلاح ٠



• الجنة والنـــار

كان صديقنا الدكتور واثقا من نفســـه كل الثقة هذه المرة وهـــو يلوك الكلمات ببطء ليلقى بالقنبلة ـ كيف يعذبنا الله وهو الرحمن الرحيم على ذنب محدود فى الزمن بعذاب لا محدود فى الابد (النار خالدين فيها أبدا) ومن نحن وماذا نســـاوى بالنسبة لعظمة الله حتى ينتقم منا هذا الانتقام ٠٠ وما الانسان الا ذرة أو هبأة فى الكون وهو بالنسبة لجلال الله أهون من ذلك بكثير ٠٠ بل هو اللاشىء بعينه ٠

ونحن نصحح معلومات الدكتور فنقول :

أولا ـ اننا لســـنا ذرة ولا هبأة فى الكون ٠٠ وان شأننا عند الله ليس هينا بل عظيما ٠٠ ألم ينفخ فينا من روحه ٠٠ ألم يسجد لنا الملائكة ٠٠ ألم يعدنا بميراث السموات والارض ويقـول عنـــا :

(ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضـــلناهم على كثـــير ممن خلقنا تفضـــيلا)

٧٠ ـ الاسراء

ان فينا اذن من روح الله ٠

ونحن بالنسبة للكون لسنا ذرة ولا هباة ٠٠ اننا نبدو بالنظر الى اجسادنا كذرة او هباة بالنسبة للكون الفسيح الواسع ٠

ولكن ألا نحتوى على هذا الكون ونستوعبه بعقلنا وندرك قوانينه وأفلاكه ونرسم لكل كوكب مداره ٠٠ ثم ينزل رائد الفضاء على القمر فيكتشف أن كل ما استوعبناه بعقلنا على الارض كان صحيحا ٠٠ وكل ما رسمناه كان دقيقا ٠

ألا يدل هذا على اننا بالنظر الى روحنا أكبر من الكون واننا نحتوى عليه ٠٠ وان الشاعر كان على حق حينما خاطب الانسان قائلا :

وتحسب انك جرم صغير
وفيك انطوى العالم الاكبر

وان الانسان كما يقول الصوفية هو الكتاب الجامع والكون صفحاته ٠

اذن فالانسان عظيم الشأن كبير الخطر ٠

وهو من روح الله ٠

وأعماله تستوجب المحاسبة ٠

أما عن الذنب المحدود فى الزمان الذى يحاسبنا الله عليه بعذاب لا محدود فى الابد ٠٠ فمغالطة أخرى وقع فيها الدكتور العزيز الواثق من نفسه ٠

فالله يقول عن هؤلاء المخلدين فى النار حينما يطلبون العودة الى الدنيا ليعملوا غير ما عملوا ٠٠ يقول سبحانه :

(ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون) ٢٨ ـ الانعام

أي ان ذنبهم ليس ذنبا محدودا فى الزمان ٠٠ بل هو خصلة ثابتة سوف تتكرر فى كل زمان ٠٠ ولو ردوا لعادوا الى ذنبهم وانهم لكاذبون ٠

هى اذن صفة مؤبدة فى النفس وليست سقطة عارضة فى ظرف عارض فى الدنيا ٠

وهو يقول عنهم فى مكان آخر :

(يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ... الا انهم هم الكاذبون) ١٨ ـ المجادلة

هنا لون آخر من الاصرار والتحدى يصل الى أنهم يواجهون الله بالكذب والحلف الكذب وهم بين يديه يوم الموقف العظيم يوم ترفع الحجب وينكشف الغطاء .. وهذا غاية الجبروت والصلف .

ولسنا هنا امام ذنب محدود فى الزمان .

بل أمام ذنب مستمر فى الزمان وبعد أن يطوى الزمان وكل زمان .. نحن هنا أمام نفس تحمل معها شرها الابدى .

ومن هنا كان تأبيد العذاب لهذه النفس عدلا .

ولهذا تقول عنهم الآية فى صراحة :

(وما هم بخارجين من النار) ١٦٧ ـ البقرة

ويقول ابن عربى : ان الرحمة بالنسبة لهؤلاء انهم سوف يتعودون على النار .. وتصبح تلك النار فى الآباد المؤبدة بيئتهم الملائمة .

ولا شك أن هناك مجانسة بين بعض النفوس المجرمة وبين النار .. فبعض تلك النفوس هى فى حقيقتها شعلة حسد وحقد وشهوة وغيرة وغل وضرام من الغضب والنقمة والثورة والمشاعر الاجرامية المحتدمة وكأنها نار بالفعل .

مثل تلك النفوس لا تستطيع أن تعيش فى سلام .. ولا تستطيع أن تحيا ساعة دون أن تشعل حولها حربا .. ودون أن تضرم حولها النيران .. لان النيران هى بيئتها وطبيعتها .

ومثل تلك النفوس يكون قرارها فى النار هو الحكم العدل ويكون هذا المصير من قبيل وضع الشىء فى مكانه .. فلو أنها أدخلت الجنة لما تذوقتها .

الم تكن ترفض السلام فى الارض ؟

وينبغى أن نفهم النار والجنة فى الآخرة فهما واسع الافق .. فالنار فى الآخرة ليست شواية . وليس ما يجرى فيها هو

الحريق بالمعنى الدنيوى فالله يقول ان المذنبين فى النار يتكلمون ويتلاعنون وان النار فيها شجرة لها ثمر ٠٠ هى شجرة الزقوم التى تخرج من أصل الجحيم ٠٠ كما أن فيها ماء حميما يشرب منـــه المعذبون ٠

مثل تلك النار التى فيها شجرة وفيها ماء ٠٠ ويتكلم فيها الناس لابد أنها نار غير النار :

(كلما دخلت امة لعنت اختها حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت اخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولــكن لا تعلمون) ٣٧ ــ ٣٨ الاعراف

انهم يتكلمون وهم فى النار وهى نار :

(وقودها النــاس والحجارة) ٢٤ ــ البقرة

هــذه النــار اذن هى من قبيل الغيب ٠٠ وما ورد عنها اشــارات ٠

ولا يجب أن يفهم من هــذا الكلام أننا ننكر العذاب الحسى ونقول بالعذاب المعنوى ٠٠ فان العذاب الحسى صريح لا يجوز الشك فيه ونحن نؤمن بوجوده ٠ وانما نقول ان تفاصيل هذا العذاب وكيفيته ٠٠ كمــا أن كيفية تلك النــار وأوصافها التفصــيلية ٠٠ هى غيب مجهول ٠٠ فهى على ما يبــدو فى الاشارات القرآنيــة ٠٠ نار غير النار ٠٠ كما أن أجسامنا فى تحملها لتلك النار هى غير الاجسام الترابية الهشة التى لنــا الآن ٠٠٠

ونفس الشىء فى الجنة ٠٠ فهى ليست سوق خضار وبلح ورمان وعنب ٠٠ وانما تلك الاوصــاف القرآنيــة هى مجرد اشارات وضرب أمثلة وتقريب الى الاذهان ٠

(مثل الجنــة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غــير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه) ١٥ ــ محمد

« مثل الجنة » ٠٠ أى أننا نضرب مثلا يقرب فهم الجنة اليك ولكن الحقيقة أن التفاصيل غيب ٠

(فلا تعــلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعمــلون) ١٧ ــ السجدة

(**جنة عرضها السموات والارض**) ١٣٣ ـ آل عمران

فهي لا يمكن ان تكون مجرد حديقة ٠

(**وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة**) ٣٢ ـ الواقعة

فهي غير فاكهتنا المقطوعة والممنوعة ٠٠ وخمر :

(**لا يصدعون عنها ولا ينزفون**)

فهي غير خمرنا التي تصدع الراس وتنزف العقل

ويقول القرآن عن أهل الجنة :

(**ونزعنا ما في صدورهم من غل**) ٤٣ ـ الاعراف

ما هنا نفوس طهرت بطريقة لا نعلمها ٠

ألجنة اذن هي الاخرى غيب وليس في هذا الكلام أي انكار للنعيم الحسي فنحن نؤمن بأن الجنة نعيم حسي ومعنوي معا كما أن النار عذاب حسي ومعنوي ولكن ما نريد تأكيده أن تفاصيل هذا النعيم أو العذاب وكيفياته غيب ٠ وان الجنة ليست سوقا للفاكهة والخضار ولا النار فرنا لشوى اللحوم ٠

وان التعذيب في الآخرة ليس تجبرا من الله على عباده وانما هو تطهير وتعريف وتقويم ورحمة ٠

(**ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم**) ١٤٧ ـ النساء

فالاصل هو عدم العذاب ٠

والله لا يعذب العارف المؤمن وانما ينصب عذابه على الجاحد المنكر الذي فشلت معه كل وسائل الهداية والتعريف والتفهيم٠

(**ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون**) ٢١ ـ السجدة

سنة الله أن يذيق هؤلاء من العذاب الاصغر في الدنيا لايقاظهم من غفلتهم ولازعاجهم من هذا الصمم والسبات ٠٠ « لعلهم يرجعون » ٠

فاذا لم تفلح كل هذه الوسائل ٠٠ وظل المنكر على انكاره لم يبق الا مواجهته بالعذاب الحق لتعريفه ٠٠ والتعريف بالحق هو عين الرحمة ٠٠ ولو أن الله تركهم على عماهم وجهلهم

واصملهم لكان فى حقه ظلما .. سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا .. فالعرض على النار بالنسبة لهؤلاء الجهال .. عناية ·
وكل أفعال الله رحمة ..
يرحم الجاهل بالجحيم تاديبا وتعليما ·
ويرحم العارف بالجنة فضلا وكرامة ·
(عذابى اصيب به من اشـــاء ورحمتى وسعت كل شىء)
١٥٦ ـ الاعراف
فجعل رحمته تسع كل شىء حتى العذاب ·
ثم دعونا نسأل الدكتور .. أيكون الله أكثر عدلا فى نظره لو أنه ساوى بين الظالمين والمظلومين وبين السفاحين وضحاياهم فقدم لنكل حفلة شاى فى الآخرة ·
وهل العدل فى نظر الدكتور أن يستوى الابيض والاسود ·
وللذين يستبعدون على الله أن يعذب نقول : ألا يعذبنا الله بالفعل فى دنيانا؟..وماذا تكون الشيخوخة والمرض والسرطان الا العذاب بعينه ·
ومن خالق الميكروب ..؟!!
اليست جميعها انذارات بأننا امام اله يمكن أن يعذب ·



● هل الدين أفيون؟

قال لى صاحبى الدكتور وهو يغمز بعينيه :

ـ وما رأيك فى الذين يقولون ان الدين أفيون وانه يخدر الفقراء والمظلومينليناموا على ظلمهم وفقرهم ويحلموا بالجنة والحور العين .. بينما يثبت الاغنياء على غناهم باعتبار أنه حق وأن الله خلق الناس درجات ؟

وما رأيك فى الذين يقولون ان الدين لم ينزل من عند الله وانما طلع من الارض من الظروف والدواعى الاجتماعية ليكون سلاحا لطبقة على طبقة ؟

وهو يشير بذلك الى الماديين وأفكارهم .

قلت :

ـ ليس أبعد من الخطأ القائل بأن الدين أفيون .. فالدين فى حقيقته أعباء وتكاليف وتبعات وليس تخففا وتحللا وبالتالى ليس مهربا من المسئوليات وليس أفيونا .

وديننا عمل وليس كسلا .

(**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم**) ١٠٥ ـ التوبة

ونحن نقول بالتوكل وليس بالتواكل .

والتوكل يقتضى عندنا العزم واستفراغ الوسع وبذل غاية الطاقة والحيلة ثم التسليم بعد ذلك لقضاء الله وحكمه .

(**فاذا عزمت فتوكل على الله**) ١٥٩ ـ آل عمران

العزم أولا .

والنبى يقول لمن يريد أن يترك ناقته سائبة توكلا على حفظ الله .. « **اعقلها وتوكل** » .. اى ابذل وسعك أولا فتبنيها فى عقالها ثم توكل .

والدين صحو وانتباه ويقظة ومحاسبة للنفس ومراقبة الضمير فى كل فعل وفى كل كلمة وكل خاطر وليس هذا حال آكل الافيون .

انما آكل الافيون الحقيقى هو المادى الذى ينكر الدين هربا من تبعاته ومسئولياته ويتصور أن لحظته ملكه وانه لا حسيب ولا رقيب ولا بعث بعد الموت فيفعل ما يخطر على باله . وأين هذا الرجل من المتدين المسلم الذى يعتبر نفسه مسئولا عن سابع جار .. واذا جاع فرد فى أمته أو ضربت دابة عاتب نفسه بانه لم يقم بواجب الدين فى عنقه .

وليس صحيحا أن ديننا خرج من الارض .. من الظروف والدواعى الاجتماعية ليكون سلاحا لطبقة على طبقة وتثبيتا لغنى الاغنياء وفقر الفقراء .

والعكس هو الصحيح .. فالاسلام جاء ثورة على الاغنياء والكانزين المال والمستغلين والظالمين . فأمر صراحة بأن لا يكون المال دولة بين الاغنياء يحتكرونه ويتداولونه بينهم وانما يكون حقا للكل .

(**والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم**) ٣٤ ـ التوبة

والانفاق يبدأ من زكاة اجبارية ٢½ فى المائة .. ثم يتصاعد اختياريا الى كل ما فى الجيب وكل ما فى اليد فلا تبقى لنفسك الا خبزك كفافك .

(**يسألونك ماذا ينفقون قل العفو**) ٢١٩ ـ البقرة

والعفو هو كل ما زاد عن الكفاف والحاجة .

وبهذا جمع الاسلام بين التكليف الجبرى القانونى والتكليف الاختيارى القائم على الضمير ، وهـذا أكرم للانسان من نزع أملاكه بالقهر والمصـادرة ٠

ووصل بالانفاق الى ما فوق التسعين فى المائة دون ارهاق ٠

ولم يأت الاسلام ليثبت ظلم الظالمين بل جاء ثورة صريحة على كل الظالمين وجاء سـيفا وحـربا عـلى رقاب الطواغيت والمسـتبدين ٠

أما التهمة التى يسـوقها الملحدون بأن الدين رجعى وطبقى بدليل الآيات :

(والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق) ٧١ ـ النحل

(ورفعنا بعضـهم فوق بعض درجات) ٣٢ ـ الزخرف

فنحن نرد بأن هذه الآيات تنطبق على لندن وباريس وبرلين وموسـكو بمثل ما تنطبق على القاهرة ودمشق وجـدة ، واذا مشينا فى شوارع موسكو فسوف نجد من يسير على رجليه ٠ ومن يركب بسكليت ٠ ومن يركب عربة موسكوفتش ٠ ومن يركب عربة زيم فاخرة ٠٠ وماذا يكون هـذا الا التفاضل فى الرزق بعينه والدرجات والرتب الاقتصادية ٠

والتفاوت بين الناس حقيقة جوهرية ٠

ولم تستطع الشيوعية أن تلغى التفاوت ٠

ولم يقل حتى غلاة المادية والفوضوية بالمساواة ٠

والمساواة غير ممكنة فكيف نساوى بين غير متساويين ٠

النـاس يولدون من لحظة الميـلاد غير متسـاوين فى الذكاء والقوة والجمال والمواهب ٠٠ يولدون على درجات فى كل شىء ٠

واقصى ما طمعت فيه المذاهب الاقتصادية هى المساواة فى الفرص وليس المساواة بين الناس ٠٠ أن يلقى كل واحد نفس الفرصة فى التعليم والعلاج والحد الادنى للمعيشة ٠٠ وهـو نفس ما تحض عليه الاديان ٠٠ أما الغاء الدرجات والغاء التفاوت فهـو الظلم بعينه والامر الذى ينافى الطبيعة ٠ والطبيعة تقوم

كلها على أساس التفاضل والتفاوت والتنوع فى ثمار الارض وفى البهائم وفى الناس ٠

فى القطن نجد طويل التيلة وقصير التيلة وجيزة ٧ وسكلاريدس وفولى جود فير ٠٠ فى البلح نجد الزغلول والسمانى والحيانى ٠٠ وفى العنب نجد البناتى والفيومى والازمرلى ٠٠

وفى الحيوان والانسان نجد الرتب والدرجات والتفاوت أكثر ٠

هذا هو قانون الوجود كله ٠٠ التفاضل ٠

وحكمة هذا القانون واضحة ٠٠ فلو كان جميع الناس يولدون بخلقة واحدة وقالب واحد ٠٠ ونسخة واحدة ٠٠ لما كان هناك داع لميلادهم أصلا ٠٠ وكان يكفى أن نأتى نسخة واحدة فتغنى عن الكل ٠٠ وكذلك الحال فى كل شىء ٠٠ ولانتهى الامر الا فقر الطبيعة وافلاسها ٠

وانما غنى الطبيعة وخصبها لا يظهر الا بالتنويع فى ثمارها وغلاتها والتفاوت فى ثمارها ٠

ومع ذلك فالدين لم يسكت على هذا التفاوت بين الاغنياء والفقراء بل أمر بتصحيح الاوضاع وجعل للفقير نصيبا فى مال الغنى ٠٠ وقال ان هذا التفاوت فتنة وامتحان ٠

(وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون) ٢٠ ـ الفرقان

سوف نرى ماذا يفعل القوى بقوته ٠ هل ينجد بها الضعفاء أم يضرب ويقتل ويكون جبارا فى الارض ٠٠ وسوف نرى ماذا يفعل الغنى بغناه ٠٠ هل يطغى ويسرف ٠٠ أم يعطف ويحسن وسوف نرى ماذا يفعل الفقير بفقره ٠٠ هل يحسد ويحقد ويسرق ويختلس ٠٠ أم يعمل ويكد ويجتهد ليرفع مستوى معيشته بالشرع والعدل ٠

وقد أمر الدين بالعدل وبتصحيح الاوضاع وبالمساواة بين الفرص ٠٠ وهدد بعذاب الآخرة ، وقال بأن الآخرة ستكون أيضا درجات أكثر تفاوتا لتصحح ما لم يجر تصحيحه فى الارض ٠

(وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا) ٢١ ـ الاسراء

وللذين يتهمون الاســـلام بالرجعية السياسية نقول ان الاسلام أتى بأكثر الشرائع تقدمية فى نظم الحكم ٠

احترام الفرد فى الاســـلام بلغ الذروة ٠٠ وسبق ميثاق حقوق الانسان وتفوق عليه ٠٠ فماذا يساوى الفرد الواحد فى الاسلام انه يساوى الانسانية كلها ٠

(من قتل نفسا بغير نفس او فساد فى الارض فكانما قتل النـــاس جميعا ومن أحيــاها فكانما احيـــا الناس جميعا)
٣٢ ـ المائدة

لا تغنى المنجزات ولا الاصـــلاحات المـــادية ولا التعمير ولا السدود ولا المصانع ٠٠ اذا قتل الحاكم فردا واحـــدا ظلما فى سبيل هذا الاصلاح ، فانه يكون قد قتل الناس جميعا ٠

ذروة فى احترام الفرد لم يصل اليها مذهب سياسى قديم أو جديد ٠٠ فالفرد فى الاســـلام له قيمة مطلقة بينما فى كل المذاهب السياسية له قيمة نسبية ٠٠ والفرد فى الاسلام آمن فى بيته ٠٠ وفى أسراره « لا تجسس ولا غيبة » آمن فى ماله ورزقه وملكيته وحريته ٠

كل شىء حتى التحية حتى افساح المجلس حتى الكلمة الطيبة لها مكان فى القرآن ٠

وقد نهى القرآن عن التجبر والطغيان والانفراد بالحكم ٠

وقال الله للنبى « وهو من هو فى كماله وصلاحياته » ٠

(وما انت عليهم بجبار) ٤٥ ـ ق

(فذكر انما انت مذكر ٠٠ لست عليهم بمسيطر)
٢١ ـ الغاشية

(انما المؤمنون اخوة) ١٠ ـ الحجرات

ونهى عن عبادة الحاكم وتأليه العظيم :

(لا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله) ٦٤ ـ آل عمران

(وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه) ٢٣ ـ الاسراء

ونهى عن الغوغائية وتملق الدهماء والســوقة والجرى وراء الاغلبية المضللة وقال أن :

(**اكثر الناس لا يعلمون**) ٢١ ـ يوسف
(**بل أكثرهم لا يعقلون**) ٦٣ ـ العنكبوت
(**أكثر الناس لا يؤمنون**) ٥٩ ـ غافر
(**ان يتبعون الا الظن وأن هم الا يخرصــون « يكذبون »** »
١١٦ ـ الانعام

(**ان هم الا كالانعام بل هم اضل**) ٤٤ ـ الفرقان
ونهى عن العنصرية والعرقية :
(**ان اكرمكم عند الله اتقاكم**) ١٣ ـ الحجرات

(**هو الذى خلقكم من نفس واحدة**) ١٨٩ ـ الاعراف
وبالمعنى العلمى كان الاسلام تركيبا جدليا جامعا بين مادية ليهودية وروحانية المسيحية ، بين العدل الصارم الجاف الذى يقول : السن بالسن والعين بالعين ٠ وبين المحبــة والتسامح المتطرف الذى يقول:من ضربك على خدك الايمن فأدر له الايسر٠
وجاء القرآن وسطا بين التوراة التى حرفت حتى أصبحت كتابا ماديا ليس فيه حرف واحــد عن الآخرة ، وبين الانجيل الذى مال الى رهبانيــة تامة ، ونادى القرآن بناموس الرحمة الجامع بين العدل والمحبة فقال بشرعية الدفاع عن النفس ولكنه فضل العفو والصفح والمغفرة ٠

(**ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور**) ٤٣ ـ الشورى
واذا كانت الرأسمالية أطلقت للفرد حرية الكسب الى درجة استغلال الآخرين ٠٠ واذا كانت الشيوعية سحقت هذه الحرية تماما ٠٠ فان الاسلام قدم الحل الوسط ٠

(**للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن**)
٣٢ ـ النساء

الفرد حر فى الكسب ولكن ليس له ان يأخــذ ثمرة أرباحه كلها ٠٠ وانما له فيها نصيب ٠٠ وللفقير نصيب يؤخذ زكاة وانفاقا من ٥ر٢ فى المائة الى ٩٠٪ جبرا واختيارا ٠٠ وهـــذا

النصيب ليس تصدقا وتفضلا وانما هو حق الله فى الربح ..
وبهذه المعادلة الجميلة حفظ الاسلام للفرد حريته وللفقير حقه .
ولهذا أصاب القرآن كل الصواب حينما خاطب أمة الاسلام قائلا :
(وكذلك جعلناكم امة وسطا) ١٤٣ ـ البقرة
فقد اختار الاسلام الوسط العدل فى كل شيء .
وهو ليس الوسط الحسابى وانما الوسط الجدلى او التركيب الذى يجمع النقيضين (اليمين واليسار) ويتجاوزهما ويزيد عليهما .. ولذلك ليس فى الاسلام يمين ويسار وانما فيه « صراط » الاعتدال الوسط الذى تسمية الصراط المستقيم من خرج عنه باليمين او اليسار فقد انحرف .
ولم يقيدنا القرآن بدستور سياسى محدد أو منهج مفصل للحكم لعلم الله بأن الظروف تتغير بما يقتضى الاجتهاد فى وضع دساتير متغيرة فى الازمنة المتغيرة . وحتى يكون الباب مفتوحا أمام المسلمين للاخذ والعطاء من المعارف المتاحة فى كل عصر دون انغلاق على دستور بعينه .
ولهذا اكتفى القرآن بهذه التوصيات السياسية العامة السالفة كخصائص للحكم الامثل .. ولم يكبلنا بنظرية وهذا سر من أسرار اعجازه وتفوقه وليس فقرا ولا نقصا فيه .
وتلك لمسة أخرى من تقدمية القرآن التى سبقت كل التقدميات .
ونرد على القائلين بأن الدين جمود وتحجر .. بأن الاسلام لم يكن أبدا دين تجمد وتحجر وانما كان دائما وأبدا دين نظر وفكر وتطوير وتغيير بدليل آياته الصريحة .
(قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق)
٢٠ ـ العنكبوت

(فلينظر الانسان مم خلق .. خلق من ماء دافق .. يخرج من بين الصلب والترائب) ٧ ـ الطارق
(أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت

والى الجبـــال كيف نصـــبت والى الارض كيف سـطحت)
١٩ ـ الغاشية

أوامر صريحة بالنظر فى خلق الانسان وفى خلق الحيـوان وفى خلق الجبال وفى طبقات الارض وفى السماء وأفلاكها ٠٠ وهى نظرات تضم كل ما نعنيه الآن بعلم الجيولوجيا والفلك والتشريح والفسيولوجيا والبيولوجيا وعلم الاجنة ٠

أوامر صريحة بالسير فى الارض وجمع الشواهد واستنباط الاحكام والقوانين ومعرفة كيف بدأ الخلق ٠٠ وهـو ما نعرفه الآن بعلوم التطور ٠

ولا خوف من الخطأ ٠

فالاســلام يكافىء الذى يجتهد ويخطىء بأجر والذى يجتهد ويصيب بأجرين ٠

وليس صحيحا ما يقال من أنناتخلفنا بالدين وتقدم الغرب بالالحاد ٠٠ والحق أننـــا تخلفنا حينما هجرنا أوامر ديننا ٠ وحينما كان المسلمون يأتمرون بهذه الآيات حقا كان هنـــاك تقدم وكانت هنـاك دولة من المحيـــط الى الخليج وعلماء مثل ابن سينا فى الطب وابن رشـد فى الفلسفة وابن الهيثم فى الرياضـيات وابن النفيس فى التشريح وجابر بن حيـــان فى الكيمياء ٠

وكانت الدنيـا تأخـــذ عنا علومنا ٠٠ وما زالت مجمعات النجوم وأبراجها تحتفظ الى الآن بأسمائها العربية فى المعاجم الاوروبيـة ٠٠ وما زالوا يسـمون جهاز التقطير بالفرنسـية imbique ومنــه الفعل من كلمة أمبيق العربية٠ imbiquer

ولم يتقدم الغرب بالالحاد بل بالعلم ٠

وانما وقع الخلط مما حدث فى العصور الوسطى من طغيان الكنيسة ومحاكم التفتيش وحجرها على العلم والعلماء وما حدث فى سجن غاليليو وحرق جيوردانو برونو ٠

حينما حكمت الكنيســة وانحرف بها البابوات عن أهدافها النبيلة فكانت عنصر تأخر ٠٠ فتصــور النقاد السطحيون ان

هذا ينسحب أيضا على الاسلام وهو خطأ ٠٠ فالاسلام ليس فيه بابوية ولا كهنوت ٠٠ والله لم يقم بينه وبين المسلمين أوصياء ولا وسطاء ٠

وحينما حكم الاسلام بالفعل كان عنصر تقدم كما شرحنا وكما يقول التاريخ مكذبا هذه المزاعم السطحية ٠

وآيات القرآن الصريحة تحض على العلم وتأمر بالعلم ولا تقيم بين العلم والدين اى تناقض :

(وقل رب زدني علما) ١١٤ ـ طه
(هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ٩ ـ الزمر
(شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم) ١٨ ـ آل عمران

جعل الله الملائكة وأولى العلم فى الآية مقترنين بشرف اسمه ونسبته ٠

وأول آية فى القرآن وأول كلمة كانت « اقرأ » والعلماء فى القرآن موعودون بأرفع الدرجات :

(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات) ١١ ـ المجادلة

وتتكرر كلمة العلم ومشتقاته فى القرآن نحوا من ثمانمائة وخمسين مرة ٠

فكيف يتكلم بعد هذا متكلم عن تناقض بين الدين والعلم أو حجر من الدين على العلم ٠

والنظر فى الدين وتطوير فهمه مطلوب ، وتاريخ الاسلام كله حركات احياء وتطوير ٠٠ والقرآن برىء من تهمة التحجير على الناس وكل شىء في ديننا يقبل التطوير ٠٠ ما عدا جوهر العقيدة وصلب الشريعة ٠٠ لان الله واحد ولن يتطور الى اثنين او ثلاثة ٠٠ هذا أمر مطلق ٠٠ وكذلك الشر شر والخير خير ٠٠ لن يصبح القتل فضيلة ولا السرقة حسنة ولا الكذب حلية يتحلى بها الصالحون ٠

وفيما عدا ذلك فالدين مفتوح للفكر والاجتهاد والاضافة والتطوير ٠

وجوهر الاسلام عقلاني منطقي يقبل الجدل والحوار ويحض على استخدام العقل والمنطق ٠

وفي أكثر من مكان وفي أكثر من صفحة في القرآن نعثر على التساؤل ٠٠ « أفلا يعقلون » ٠٠ « أفلا يفقهون » ٠

واهل الدين عندنا هم « اولو الالباب » ٠

(شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) ٢٢ ـ الانفال

(افلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او آذان يسمعون بها) ٤٦ ـ الحج

احترام العقل فى لب وصميم الديانة ٠

والايجابية عصبها والثورة روحها ٠

لم يكن الاسلام ابدا خانعا ولا سلبيا ٠

(وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم) ١٩٠ ـ البقرة

(ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) ٤ ـ الصف

والجهاد بالنفس والمال والاولاد ٠٠ والقتال والثبات وعدم النكوص على الاعقاب ، ومواجهة البأس والمصابرة والمرابطة فى صلب ديننا ٠

فكيف يمكن لدين بهذه المرونة والعقلانية والعلمية والايجابية والثورة أن يتهم بالتحجر والجمود الا من صديق عزيز مثل الدكتور القادم من فرنسا لا يعرف من أوليات دينه شيئا ولم يقرأ فى قرآنه حرفا ٠



• وحكاية الإسلام مع المرأة؟

قال صديقى الدكتور :
ـ الا توافقنى أن الاسلام كان موقفه رجعيا من المرأة ؟
وبدأ يعد على أصابعه
ـ حكاية تعدد الزوجات وبقاء المرأة فى البيت ٠٠ والحجاب والطلاق فى يد الرجل ٠٠ والضرب والهجر فى المضاجع ٠٠ وحكاية ما ملكت ايمانكم ، وحكاية الرجال قوامون على النساء ونصيب الرجل المضاعف فى الميراث ٠

قلت له وأنا أستجمع نفسى :

التهم هذه المرة كثيرة ٠٠ والكلام فيها يطول ٠٠ ولنبدأ من البداية ٠٠ من قبل الاسلام ٠٠ واظنك تعرف تماما أن الاسلام جاء على جاهلية ، والبنت التى تولد نصيبها الوأد والدفن فى الرمل ، والرجل يتزوج العشرة والعشرين ويكره جواريه على البغاء ويقبض الثمن ٠٠ فكان ما جاء به الاســـلام من اباحة الزواج بأربع تقييدا وليس تعديدا ٠٠ وكان انقاذا للمرأة من العار والموت والاستعباد والمذلة ٠

وهل المرأة الآن فى أوربا أسعد حالا فى الانحلال الشـــائع هناك وتعدد العشيقات الذى أصبح واقع الامر فى أغلب الزيجات

أليس أكرم للمرأة أن تكون زوجة ثانيــة لمن تحب .. لها كافة حقـوق الزوجة واحترامها من أن تكون عشـيقة فى السر تختلس المتعة من وراء الجدران .

ومع ذلك فالاسلام جعل من التعدد اباحة شبه معطلة وذلك بأن شرط شرطا صعب التحقيق وهو العدل بين النساء .

(وان خفتم الا تعدلوا فواحـــدة) .. (ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) ١٢٩ ـ النساء

فنفى قدرة العدل حتى عن الحريص فلم يبق الا من هو أكثر من حريص كالانبياء والاولياء ومن فى دربهم .

أما البقاء فى البيوت فهو أمر وارد لزوجات النبى باعتبارهن مثلا عليا .

(وقرن فى بيوتكن) ٣٣ ـ الاحزاب

وهى اشـــارة الى أن الوضــع الامثل للمرأة هى أن تكون أما وربة بيت تفرغ لبيتها ولأولادها .

ويمكن أن نتصور حال أمة نساؤها فى الشوارع والمكاتب واطفالها فى دور الحضـــانة والملاجىء .. أتكون أحسن حالا او أمة النساء فيها أمهات وربات بيوت والاطفال فيها يتربون فى حضانة أمهاتهم والاسرة فيها متكاملة الخدمات .

الرد واضح .

ومع ذلك فالاسلام لم يمنع المقتضيات التى تدعو الى خروج المرأة وعملها .. وقد كانت فى الاسلام فقيهات وشاعرات .. وكانت النساء يخرجن فى الحروب .. ويخرجن للعلم .

انما توجهت الآية الى نساء النبى كمثل عليا ، وبين المثال والممكن والواقع درجات متعددة .

وقد خرجت نساء النبى مع النبى فى غزواته .

وينسحب على هذا أن الخروج لمعونة الزوج فى كفاح شريف هو أمر لا غبار عليــه .

أما الحجاب فهو لصالح المرأة .

وقد أباح الاسلام كشف الوجه واليدين وأمر بستر ما عدا ذلك ٠

ومعلوم أن الممنوع مرغوب وان ستر مواطن الفتنة يزيدها جاذبية ٠

وبين القبائل البدائية وبسبب العرى الكامل يفتر الشوق تماما وينتهى الفضول ونرى الرجل لا يخالط زوجته الا مرة فى الشهر واذا حملت قاطعها سنتين ٠

وعلى الشواطىء فى الصيف حينما يتراكم اللحم العارى المباح للعيون يفقد الجسم العريان جاذبيته وطرافته وفتنته ويصبح أمرا عاديا لا يثير الفضول ٠

ولا شك انه من صالح المرأة أن تكون مرغوبة أكثر والا تتحول الى شىء عادى لا يثير ٠

أما حق الرجل فى الطلاق فيقابله حق المرأة أيضا على الطرف الآخر فيمكن للمرأة ان تطلب الطلاق بالمحكمة وتحصل عليه اذا أبدت المبررات الكافية ٠

ويمكن للمرأة أن تشترط الاحتفاظ بعصمتها عند العقد ٠٠ وبذلك يكون لها حق الرجل فى الطلاق ٠

والاسلام يعطى الزوجة حقوقا لا تحصل عليها الزوجة فى أوروبا ــ فالزوجة عندنا تأخذ مهرا ٠٠ وعندهم تدفع دوطة ٠٠ والزوجة عندنا لها حق التصرف فى أملاكها ٠٠ وعندهم تفقد هذا الحق بمجرد الزواج ويصبح الزوج هو القيم على أملاكها ٠

أما الضرب والهجر فى المضاجع فهو معاملة المرأة الناشز فقط ٠٠ أما المرأة السوية فلها عند الرجل المودة والرحمة ٠

والضرب والهجر فى المضاجع من معجزات القرآن فى فهم النشوز ٠٠ وهو يتفق مع أحدث ما وصل اليه علم النفس العصرى فى فهم المسلك المرضى للمرأة ٠

وكما نعلم يقسم علم النفس هذا المسلك المرضى الى نوعين ــ « المسلك الخضوعى » وهو ما يسمى فى الاصطلاح العلمى « ماسوشزم » masochism وهو تلك الحالة المرضية التى

تلتذ فيها المـرأة بأن تضرب وتعذب وتكون الطرف الخاضـع والنوع الثانى هـو « المسلك التحكمى » وهـو ما يسـمى فى الاصطلاح العلمى « سادزم » sadism وهو تلك الحالة المرضية التى تلتذ فيها المـرأة بأن تتحكم وتسـيطر وتتجبر وتتسلط وتوقع الاذى بالغير · ومثل هذه المرأة لا حل لها سوى انتزاع شوكتها وكسر سلاحها الذى تتحكم به ، وسلاح المرأة أنوثتها وذلك بهجرها فى المضجع فلا يعود لها سـلاح تتحكم به ·· أما المرأة الاخرى التى لا تجد لذتها الا فى الخضوع والضرب فان الضرب لها علاج ·· ومن هنا كانت كلمة القرآن ·

(واهجروهن فى المضاجع واضربوهن) ٣٤ ـ النسـاء

اعجازا علميا وتلخيصا فى كلمتين لكل ما أتى به علم النفس فى مجلدات عن المرأة الناشز وعلاجها ·

اما حكاية « ما ملكت أيمانكم » التى أشار اليها السائل فانها تجرنا الى قضـية الرق فى الاسـلام ·· واتهام المستشرقين للاسلام بأنه دعا الى الرق ·· والحقيقة أن الاسلام لم يدع الى الرق ·· بل كان الدين الوحيد الذى دعا الى تصفية الرق ·

ولو قرأنا الانجيل ·· وما قاله بولس الرسول فى رسائله الى أهل افسـس وما أوصى به العبيد لوجدناه يدعو العبيد دعوة صريحة الى طاعة سادتهم كما الرب ·

« أيها العبيد ·· أطيعوا سادتكم بخوف ورعدة فى بسـاطة قلوبكم كمـا الرب » ·

ولم يأمر الانجيل بتصفية الرق كنظام وانما أقصى ما طالب به كان الأمر بالمحبة وحسن المعاملة بين العبيد وسادتهم ·

وفى التوراة المتداولة كان نصيب الاحرار أسوأ من نصيب العبيد ·· ومن وصايا التوراة أن البلد التى تستسلم بلا حرب يكون حظ أهلها أن يسـاقوا رقيقا وأسـارى والتى تدافع عن نفسها بالسيف ثم تستسلم يعرض أهلها على السـلاح ويقتل شيوخها وشبابها ونساؤها وأطفالها ويذبحوا تذبيحا ·

كان الاسترقاق اذن حقيقة ثابتة قبل مجىء الاسلام وكانت الاديان السابقة توصى بولاء العبد لسيده ·

فنزل القرآن ليكون أول كتاب سماوى يتكلم عن فك الرقاب وعتق الرقاب ٠

ولم يحرم القرآن الرق بالنص الصريح٠٠ ولم يأمر بتسريح الرقيق ٠٠ لان تسريحهم فجأة وبأمر قرآنى فى ذلك الوقت وهم مئات الآلاف بدون صناعة وبدون عمل اجتماعى وبدون توظيف يستوعبهم كان معناه كارثة اجتماعية وكان معناه خروج مئات الالوف من الشحاذين فى الطرقات يستجدون الناس ويمارسون السرقة والدعارة ليجدوا للقمة٠ وهو أمر أسوأ من الرق ، فكان الحل القرآنى هو قفل باب الرق ثم تصفية الموجود منه ٠٠ وكان مصدر الرق فى ذلك العصر هو استرقاق الاسرى فى الحروب فأمر القرآن بأن يطلق الاسير أو تؤخذ فيه فدية وبأن لا يؤخذ الاسرى أرقاء ٠

(فاما منا بعد ٠٠ واما فداء) ٤ ـ محمد

فاما أن تمن على الاسير فتطلقه لوجه الله ٠٠ واما تأخذ فيه فدية ٠

أما الرقيق الموجود بالفعل فتكون تصفيته بالتدرج وذلك بجعل فك الرقاب وعتق الرقاب كفارة الذنوب صغيرها وكبيرها وبهذا ينتهى الرق بالتدريج ٠

والى أن تأتى تلك النهاية فماذا تكون معاملة السيد لما ملكت يمينه ٠٠ أباح له الاسلام أن يعاشرها كزوجته ٠

وهذه حكاية « ما ملكت أيمانكم » التى أشار اليها السائل ولا شك أن معاشرة المرأة الرقيق كالزوجة كان فى تلك الايام تكريما لا اهانة ٠

وينبغى ألا ننسى موقف الاسلام من العبد الرقيق وكيف جعل منه أخا بعد أن كان عبدا يداس بالقدم ٠

(انما المؤمنون اخوة) ١٠ ـ الحجرات

(هو الذى خلقكم من نفس واحدة) ١٨٩ ـ الاعراف

(لا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله) ٦٤ ـ آل عمران

وقد ضرب محمد عليه الصلاة والسلام المثل حينما تبنى عبدا رقيقا هو زيد بن حارثة فاعتقه وجعل منه ابنه ٠٠ ثم زوجه من الحرة سليلة البيت الشريف زينب بنت جحش ٠

كل هذا ليكسر هذه العنجهية والعصبية ٠٠ وليجعل من تحرير العبيد موقفا يقتدى به ٠٠ وليقول بالفعل وبالمثال أن رسالته هى عتق الرقاب ٠

أما أن الرجال قوامون على النساء فهى حقيقة فى كل مكان فى البلاد الاسلامية ٠ وفى البلاد المسيحية ٠ وفى البلاد التى لا تعرف الها ولا دينا ٠

فى موسكو الملحدة الحكام رجال من أيام لينين وستالين وخروشوف وبرلجانين الى اليوم ، وفى فرنسا الحكام رجال،وفي لندن الحكام رجال ، وفى كل مكان من الارض الرجال هم الذين يحكمون ويشرعون ويخترعون ، وجميع الانبياء كانوا رجالا ، وجميع الفلاسفة كانوا رجالا ، حتى الملحنين « مع أن التلحين صنعة خيال لا يحتاج الى عضلات » رجال ، وكما يقول العقاد ساخرا : حتى صنعة الطهى والحياكة والموضة وهى تخصصات نسائية تفوق فيها الرجال ثم انفردوا بها ٠

وهى ظواهر لا دخل للشريعة الاسلامية فيها ٠٠ فهى ظواهر عامة فى كل بقاع الدنيا حيث لا تحكم شريعة اسلامية ولا يحكم قرآن ٠

انما هى حقائق ٠٠ ان الرجل قوام على المرأة بحكم الطبيعة واللياقة والحاكمية التى خصه بها الخالق ٠

واذا ظهرت وزيرة أو زعيمة أو حاكمة فانها تكون الطرافة التى تروى أخبارها والاستثناء الذى يؤكد القاعدة ٠

والاسلام لم يفعل أكثر من أنه سجل هذه القاعدة وهذا يفسر لنا بعد ذلك لماذا أعطى القرآن الرجل ضعف النصيب فى الميراث ٠٠ لانه هو الذى ينفق ولانه هو الذى يعول ٠٠ ولانه هو الذى يعمل ٠

كان موقف الاسلام من المرأة هو العدل ·
وكانت سيرة النبى مع نسائه هى المحبة والحدب والحنان ··
ألم يؤثر عنـه قوله :
« حبب الى من دنياكم النسـاء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصـلاة » ·

فذكر النساء مع الطيب والعطر والصلاة وهذا غاية الاعزاز، وكان آخر ما قاله فى آخر خطبة له قبل موته هـو التوصية بالنسـاء ·

واذا كان الله قد اختار المرأة للبيت والرجل للشارع فلانه عهد الى الرجل أمانة التعمير والبناء والانشـاء بينما عهد الى المرأة أمانة أكبر وأعظم هى تنشئة الانسان نفسه ·

وانه من الاعظام لشأن المرأة أن تؤتمن على هذه الامانة ·
فهل ظلم الاسـلام النسـاء ؟!!



• الــــروح

قال صديقى الدكتور وهـــو يعلم هـــذه المرة أن الاشكال سـيكون عسـيرا ٠

ـ ما دليلك على أن الانسان له روح وأنه يبعث بعد موت وانه ليس مجرد الجسد الذى ينتهى الى تراب ٠٠ وماذا يقول دينــكم فى تحضير الارواح ؟

قلت بعد برهة تفكير :

ـ لا شك أن السؤال اليوم صعب والكلام عن الروح ضرب فى تيه والحقائق الموجودة قليلة ولكنها مع ذلك فى صفنا نحن وليست فى صفكم ٠

ومضت برهة أغرقت فيها فى التفكير ثم قلت مردفا :

ـ فكر معى قليـلا ٠٠ ان أول المؤشرات التى تساعدنا على التدليل على وجود الروح ٠٠ أن الانسان ذو طبيعة مزدوجة ٠

الانسان له طبيعتان :

طبيعة خارجيـــة ظاهرة مشهودة هى جسده تتصف بكل صفات المادة ، فهى قابلة للوزن والقيـاس متحيزة فى المكان متزمنة بالزمان دائمة التغير والحركة والصيرورة من حال الى حال ومن لحظة الى لحظة فالجسد تتداول عليه الاحوال من صحة

الى مرض الى سمنة الى هزال الى تورد الى شحوب الى نشاط الى كسل الى نوم الى يقظة الى جوع الى شبع ، وملحق بهذه الطبيعة الجسدية شريط من الانفعالات والعواطف والغرائز والمخاوف لا يكف لحظة عن الجريان فى الدماغ ·

ولان هذه الطبيعة والانفعالات الملحقة بها تتصف بخواص المادة نقول ان جسد الانسان ونفسه الحيوانية هما من المادة ·

ولكن هناك طبيعة أخرى مخالفة تماما للاولى ومغايرة لها فى داخل الانسان ·

طبيعة من نوع آخر تتصف بالسكون واللازمان واللامكان والديمومة ·· هى العقل بمعاييره الثابتة وأقيسته ومقولاته ·· والضمير بأحكامه ، والحس الجمالى وال أنا التى تحمل كل تلك الصفات « من عقل وضمير وحس جمالى وحس أخلاقى » ·

وال أنا غير الجسد تماما وغير النفس الحيوانية التى تلتهب بالجوع والشبق ·

ال أنا هى الذات العميقة المطلقة وعن طريق هذه الذات العميقة يشعر الانسان بذلك الشعور العميق بالحضور والكينونة والشخوص والمثول فى العالم ·· وبأنه هنا وبأنه كان دائما هنا ·· وهو شعور ثابت ممتد لا يطرأ عليه التغير لا يسمن ولا يهزل ولا يمرض ولا يتصف بالزمان ·· وليس فيه ماض وحاضر ومستقبل ·· انما هو « آن » مستمر لا ينصرم كما ينصرم الماضى ·· وانما يتمثل فى شعور بالدوام ·· بالديمومة ·

هنا نوع آخر من الوجود لا يتصف بصفات المادة فلا هو يطرأ عليه التغير ولا هو يتحيز فى المكان أو يتزمن بالزمان · ولا هو يقبل الوزن والقياس ·· بالعكس نجد أن هذا الوجود هو الثابت الذى نقيس به المتغيرات والمطلق الذى نعرف به كل ما هو نسبى فى عالم المادة ·

وأصدق ما نصف به هذا الوجود انه روحى وأن طبيعته روحية ·

ولنا أن نسأل بعد ذلك ·
أى الطبيعتين هى الانسان حقا ·
هل الانسان بالحقيقة هو جسده أو روحه ·
ولنعرف الجواب علينا أن نبحث أى الطبيعتين هى الحاكمة على الاخرى ·

يقول لنا الماديون أن الانسان هو جسده ، وأن الجسد هو الحاكم وأن كل ما ذكرت من عقل ومنطق وحس جمالى وحس أخلاقي وضمير وهذه « التخريفة » التى اسمها الذات أو ال أنا كل هذا ملحق بالجسد ثانوى عليه تابع له يأتمر بأمره ويقوم على خدمته ويتولى اشباع شهواته وأهوائه ·

هذا كلام اخواننا الماديين وهو خطأ ، فالحقيقة أن الجسد تابع وليس متبوعا مامور وليس آمرا ألا يجوع الجسد فنرفض امداده بالطعام لاننا قررنا أن نصوم هذا اليوم لله ·· ألا يتحرك بشهوة فنزجره ؟!

الا نصحو فى الصباح فيبدأ الجسم تلقائيا فى تنفيذ خطة عمل وضعها العقل وصنف بنودها بندا بندا ·· من ساعة الى ساعة ·· من التابع هنا ومن المتبوع ؟

ولحظة التضحية بالنفس حينما يضع الفدائى حزام الديناميت حول جسده ويتقدم ليحطم الدبابة ومن فيها ·· أين جسده هنا ·· أين المصلحة المادية التى يحققها بموته ·· ومن الذى يأمر الآخر ·· ان الروح تقرر اعدام الجسد فى لحظة مثالية تماما لا يمكن أن يفسرها مذهب مادى بأى مكسب مادى والجسد لا يستطيع أن يقاوم هذا الامر ·· ولا يملك أى قوة لمواجهته ، لا يملك الا أن يتلاشى تماما ·· وهنا يظهر أى الوجودين هو الاعلى ·· وأى الطبيعتين هى الانسان حقا ·

وعندنا اليوم أكثر من دليل على أن الجسد هو الوجود الثانوى ·· ما يجرى الآن من حوادث البتر والاستبدال وزرع الاعضاء ·· وما نقرؤه عن القلب الالكترونى والكلية الصناعية وبنك الدم وبنك العيون ومخازن الاكسسوار البشرى حيث

يجرى تركيب السيقان والاذرع والقلوب ٠
ولن تكون نكتة أن يدخل العريس على عروسه سنة ٢٠٠٠ فيجدها تخلع طقم الإسنان والباروكة والنهود الكاوتشوك والعين الصناعية والساق الخشبية فلا يتبقى منها الا هيكل مثل شاسيه السيارة بعد نزع الجلد والكراسي والابواب ٠
الى هذه الدرجة يجرى فك الجسم وتركيبه واستبداله دون أن يحدث شيء للشخصية لان هذه الذراع أو تلك الساق أو ذلك الشعر أو العين أو النهد كل هذه الاشياء ليست هي الانسان ٠٠ فها هي تنقل وتستبدل وتوضع مكانها بطاريات ومسامير وقطع من الالمونيوم دون أن يحدث شيء ٠٠ فالانسان ليس هذه الاعضاء وانما هو الروح الجالسة على عجلة القيادة تدير هذه الماكينة التى اسمها الجسد ٠

انها الادارة التى يمثلها مجلس ادارة من خلايا المخ ٠٠ ولكنها ليست المخ ٠
فالمخ مثله مثل خلايا الجسد يصدع بالاوامر التى تصدر اليه ويعبر عنها ولكنه فى النهاية ليس أكثر من قفاز لها ٠٠ قفاز تلبسه هذه اليد الخفية التى اسمها الروح وتتصرف به فى العالم المادى ٠
نفهم من هذه الشواهد كلها ان الانسان له طبيعتان :
طبيعة جوهرية حاكمة هى روحه
وطبيعة ثانوية زائلة هى جسده ٠
وما يحدث بالموت أن الطبيعة الزائلة تلتحق بالزوال والطبيعةالخالدة تلتحق بالخلود فيلتحق الجسد بالتراب وتلتحق الروح بعالمها الباقى ٠
ولعشاق الفلسفة نقدم دليلا آخر على وجود الروح من الخاصية التى تتميز بها الحركة ٠
فالحركة لا يمكن رصدها الا من خارجها :
لا يمكن أن تدرك الحركة وانت تتحرك معها فى نفس الفلك وانما لابد من عتبة خارجية تقف عليها لترصدها ٠٠ ولهذا

تأتي عليك لحظة وانت فى اسانسير متحرك لا تستطيع ان تعرف هل هو واقف أم متحرك لانك أصبحت قطعة واحدة معه فى حركته ٠٠ لا تستطيع ادراك هذه الحركة الا اذا نظرت من باب الاسانسير الى الرصيف الثابت فى الخارج ٠

ونفس الحالة فى قطار يسير بنعومة على القضبان ٠٠ لاتدرك حركة مثل هذا القطار وانت فيه الا لحظة شروعه فى الوقوف او لحظة اطلالك من النافذة على الرصيف الثابت فى الخارج ٠

وبالمثل لا يمكنك رصد الشمس وانت فوقها ولكن يمكنك رصدها من القمر أو الارض ٠٠ كما لا يمكنك رصد الارض وانت تسكن عليها وانما تستطيع رصدها من القمر ٠

لا تستطيع أن تحيط بحالة الا اذا خرجت خارجها ٠

ولهذا ما كنا لنستطيع ادراك مرور الزمن لولا أن الجزء المدرك فينا يقف على عتبة منفصلة وخارجة عن هذا المرور الزمنى المستمر « أى على عتبة خلود » ٠

ولو كان ادراكنا يقفز مع عقرب الثوانى كل لحظة لما استطعنا ان ندرك هذه الثواني أبدا ٠ ولانصرم ادراكنا كما تنصرم الثواني بدون أن يلاحظ شيئا ٠

وهى نتيجة مذهلة تعنى ان هناك جزءا من وجودنا خارجا عن اطار المرور الزمني « أى خالد » هو الذى يلاحظ الزمن من عتبة سكون ويدركه دون أن يتورط فيه ولهذا لا يكبر ولا يشيخ ولا يهرم ولا ينصرم ٠٠ ويوم يسقط الجسد ترابا سوف يظل هذا الجزء على حاله حيا حياته الخاصة غير الزمنية هذا الجزء هو الروح ٠

وكل منا يستطيع أن يحس بداخله هذا الوجود الروحى على صورة حضور وديمومة وشخوص وكينونة مغايرة تماما للوجود المادى المتغير المتقلب النابض مع الزمن خارجه ٠

هذه الحالة الداخلية التى ندركها فى لحظات الصحو الباطنى والتى اسميتها حالة حضور ٠٠ هى المفتاح الذى يقودنا الى الوجود الروحى بداخلنا ويضع يدنا على هذا اللغز الذى اسمه الروح ٠٠٠

ودليل آآخر علىطبيعتنا الروحيةهو شعورنا الفطرىبالحرية،

ولو كنا أجساما مادية ضمن اطار حياة مادية تحكمنا القوانين المادية الحتمية لما كان هناك معنى لهذا الشعور الفطرى بالحرية.

لنا روح اذن تعلو على الزمن وتتخطى الموت وتتخطى الحتميات المادية.

ماذا عن البعث اذن.

لم يعد أحد بعد الموت ليخبرنا ماذا جرى له.

ولم يات يوم البعث لنقدم دليلا ملموسا وشاهد عيان.

وكل ما يمكن قوله فى موضوع البعث انه حقيقة دينية يرجحها العقل والعلم.

لماذا يرجحها العقل والعلم ؟

لأن شواهد الوجود وظواهره تشير جميعها الى ان هناك عودا على بدء ودورة لكل شيء .. بعد النهار يأتى الليل ثم يعود من جديد فيأتى النهار، الشمس تشرق ثم تغرب ثم تعود فتشرق.

الصيف والخريف والشتاء والربيع ثم تعود فتتكرر الدورة من جديد فيأتى الصيف ثم الخريف ثم الشتاء الخ .. بعد اليقظة ونوم الليل نعود فنستيقظ من جديد .. وهذا يرجح أنه بعد رقود الموت هناك صحوة بعث .. لان هناك عودا لكل شيء .. والله يسمى نفسه فى القرآن المبدىء والمعيد.

(**كما بدأكم تعودون**) ٢٩ ـ الاعراف

(**يبدأ الخلق ثم يعيده**) ٤ ـ يونس

ألا يدور كل شيء فى فلك من الذرة الى المجرة، حتى الحضارات لها دورات والتاريخ له دورات.

هذا العود الابدى فى كل شيء يرجح البعث.

الدليل الآخر على البعث هو النظام المحكم الذى ليس فيه بادرة خلل واحدة من أكبر المجرات حتى أصغر الذرات حتى الالكترون الذى لا يرى نجد النظام والقانون يهيمن على كل شيء .. حتى الالكترون المتناهى فى الصغر لا يستطيع أن ينتقل من فلك الى فلك فى الذرة الا اذا أعطى أو أخذ مقدارا من الطاقة يساوى حركته .. وكأنه راكب قطار لا يستطيع

السفر الى أى مكان بدون تذكرة٠٠فكيف نتصور فى هذا النظام المحكم أن يهرب قاتل أو يفر ظالم من الجزاء لمجرد أنه ضلل البوليس ، ان العقل يتصور انه لابد سيلقى جزاءه حتما،وان هناك لابد عالما آخر يسوى فيه الحساب ٠٠ هكذا يقول العدل٠

ونحن مفطورون على تحرى العدل وعلى حب العدل والبحث عن العدل ومحاولة تحقيق العدل ٠

ومع ذلك فالعدل فى الدنيا غير موجود ٠

وكما يقول أهل الفكر اذا كان الظمأ الى الماء يدل على وجود الماء ٠٠ فلابد أن الظمأ الى العدل يدل على وجود العدل ٠٠ فان لم يكن موجودا فى دنيانا فلابد أن له يوما وساعة تنصب فيها موازينه ٠

كل هـذه مؤشرات تشير وترجح أن هناك بعثا وحسابا وعالما آخر ٠

والمؤمن الذى يصدق القرآن فى غير حاجة الى هـذه الاستدلالات لانه آمن بقلبه وأراح نفسه من الجدل ٠

يبقى بعد ذلك أن نسأل ٠٠ وما الروح ٠

(ويسالونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما اوتيتم من العلم الا قليلا) ٨٥ ـ الاسراء

هى لغز ولا أحد يعلم عنها شيئا ٠

والعجيب انه كلما جاء ذكر الروح فى القرآن ذكرت معها كلمة من أمر ربى ٠

(يلقى الروح من امره على من يشاء من عباده) ١٥ ـ غافر

(ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده) ٢ ـ النحل

(تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر) ٤ ـ القدر

(وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا) ٥٢ ـ الشورى

دائما كلمة « من امرنا » ٠٠ « من أمره » ٠٠ « من أمر ربى » كلما ذكرت الروح ٠

أيكون أمر الله روحا ؟

وكلمة الله روحا ؟
الم يقل الله عن المسيح عليه السلام انه :
(كلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم) ٤٥ ـ آل عمران
وانه :
(كلمته القاها الى مريم وروح منه) ١٧١ ـ النساء
• الكلمة .. الامر .. الروح .. هل هى الفاظ مترادفة لمعنى واحد .
هى مجرد اشارات .
ولا أحد يعلم الحقيقة الا العليم .
يبقى بعد ذلك سؤالك عن تحضير الارواح .
وتحضير الارواح عندنا أمر مشكوك فيه .
مشكوك فيه ان ظواهر الغرفة المظلمة سببها حضور روح فلان أو علان .
ومفكر كبير مثل هنرى سودر يقول : ان تلك الظواهر مصدرها العقل الباطن للوسيط والقوى الروحية للوسيط ذاته .. ولا شىء يحضر بالمرة .
ويقول المفكرون الهنود : ان الذى يتلبس الوسيط أثناء التحضير هى أرواح سفلية تعرف بعض الاشياء عن الموتى وتستخدمها فى السخرية بعقول الموجودين والضحك عليهم .
ويقول الصوفية المسلمون ان الذى يحضر فى تلك الجلسات ليس الروح ولكن القرين ، وهو الجن الذى كان يصاحب الميت اثناء حياته .. وهو بحكم هذه الصحبة يعرف أسراره .. ولان الجن معمر فانه يبقى حيا بعد موت صاحبه .. وهو الذى يحضر الجلسات ويفشى أسرار صاحبه ويقلد صوته وعاداته ليسخر من الموجودين على عادة الجن فى عدائهم للانسان .
وهم يقولون : اننا اذا دققنا جرس المكتب فان الذى يحضر هو الخادم .. أما السادة فانهم لا يتركون عالمهم ويحضرون بهذه السذاجة وبالمثل فى عالم الارواح .. فالذى يحضر فى الجلسات ويهرج على الموجودين هى الارواح السفلية والجن ومن فى مستواهم .

أما الارواح البشرية فهى فى عالم آخر هـو عالم البرزخ ولا يمـكن استحضارها .. ولكنها قد تتصل بمن تحب فى الحلم أو فى اليقظة اذا توفرتَ الظروف الملائمة .

ومن الجلسات الكثيرة التى حضرناها ومما جمعنا من خبرة خاصة فى هذا الموضوع نقول : انه لا يوجد دليل واحد على ان ظواهر الغرفة المظلمة سببها حضور الروح المطلوبة .

وربما كان راى الصـوفية المسـلمين أكثر الآراء تفسيرا لـما يحـدث .

والمسألة ما زالت قيد البحث .

وللاسف الشعوذات فى هذا الموضوع أكثر من الحقائق .. والكلمة الاخيرة لم تقل بعد .

ولا شك أنك سوف تضحك على كلمات مثل الجن والارواح السفلية .. والقرين .

ولك عذرك .. فاذا كنت لا تؤمن بروحك أنت فكيف يتوقع منك أن تؤمن بجنى .. واذا كنت لا تؤمن بالله فكيف ينتظر منك أن تؤمن بشياطينه .

ومع ذلك لو كنت ولدت منذ مائة سنة وجاءك رجل يحدثك عن أشعة غير منظورة تخرق الحديد ، وصـور تنتقل فى الهواء عبر المحيطات فى أقل من ثانية ، ورائد فضاء يمشى على تراب القمر .. الم تكن تضحك وتقهقه وتستلقى على قفاك أضعاف ما تضحك الآن .. وتقول لنفسك .. هـذا رجل هارب من مستشفى المجاذيب ومع ذلك فيا لها من حقائق ملء السـمع والبصـر الآن .



• الضمير

قال صاحبي :
ـ أنتم تتكلمون عن الضمير في تقديس كما لو كان شيئا مطلقا مع انه أحد المصنوعات الاجتماعية ، عملة نحاسية لا أكثر صكت ودمغت وسبكت في فرن التعاملات الاجتماعية وهو عندنا شيء تتغير أحكامه وضوابطه وفق المصالح الجارية والقيمة التي تفيد نقول عنها خيرا والقيمة التي تضر نقول عنها شرا ولو كانت هذه القيمة هي العفة التي تتمسكون بها كعيونكم .

قلت له في هدوء :
ـ نعم .. هذا هو رأى الفلسفة المادية على ما أسمع .. ان الضمير سلطة زجر وردع نبتت من الدواعي الاجتماعية .. مجرد تحصيل خبرة تتفاوت بين شخص وشخص وبين عصر وعصر وبين أمة وأمة ..
هذا كلامكم .
ولكن الحقيقة غير ذلك .

الحقيقة أن الضمير نور وضعه الله في الفطرة ومؤشر ودليل

وبوصلة نولد بها .. تهدينا الى الحقائق وكل دور الاكتساب الاجتماعى انه يجلو مرآة هذه البوصلة ويصقل زجاجها .

ولنا على ذلك براهين تؤيدنا وتشجب كلامكم .

انظر الى عالم الحيوان حيث لا مجتمع . ترى القطة تتبرز ثم تستدير لتغطى فضلاتها بالتراب ، فى أى مجتمع قططى تعلمت القطة هذا الوازع ؟

وكيف ميزت بين القذارة والنظافة ؟

وأنت ترى القطة تسرق السمكة فاذا ضبطتها وضربتها على راسها طأطأت ونكست بصرها فى احساس واضح بالذنب .. وتراها تلهو مع الاطفال فى البيت فتكسر فازة أثناء اللعب .. فماذا يحدث ، انها تجرى فى فزع وتختبىء تحت الكراسى وقد ادركت انها اخطأت .

كل هذه شواهد وملامح ضمير .

وليس فى مملكة القطط دواع لنشأة هذه المشاعر .. ولا نرى حتى مجتمعا قططيا من الاساس .

وتقاليد الوفاء الزوجى فى الحمام .

ونبل الحصان فى ارتباطه بصاحبه حتى الموت .

وكبرياء الاسد وترفعه عن الهجوم على فريسته من الخلف .

وخجل الجمل وتوقفه عن مضاجعة أنثاه اذا وجد أن هناك عينا ترقبه .

ثم تلك الحادثة البليغة التى رآها جمهور المشاهدين فى السيرك القومى بالقاهرة .. حينما قفز الاسد على المدرب محمد الحلو من الخلف وانشب مخالبه فى كتفه وأصابه بجرح قاتل .

وبقية الحادثة يرويها موظفو السيرك .. كيف امتنع الاسد عن الطعام .. وحبس نفسه فى زنزانته لا يبرحها .. وكيف نقلوه الى حديقة الحيوان وقدموا له أنثى لتروح عنه فضربها وطردها .. وظل على صيامه ورفضه للطعام ثم انقض على يده الآثمة وظل يمزقها حتى نزف ومات .

حيوان ينتحر ندما وتكفيرا عن جريمته ·
من أى مجتمع فى دنيا السباع أخذ الاسد هذه التقاليد ··
هل فى مجتمع السباع أن افتراس الانسان جريمة تدعو الى الانتحار ·

نحن هنا أمام نبل وخلق وضمير لا نجده فى بشر ·

ونحن أمام فشل كامل للتفسير المادى وللتصور المادى لحقيقة الضمير ·

ولا تفسير لما نراه سوى ما يقوله الدين ·· من أن الضمير هو نور وضعه الله فى الفطرة وان كل دور الاكتساب الاجتماعى أن يجلو صدأ النفس فتشف عن هذا النور الالهى ·

وهذا هو ما حدث بين الاسد ومدربه ·· المعاشرة والمحبة والمصاحبة صقلت تلك النفس الحيوانية فأيقظت ذلك القبس الرحمانى ·· فاذا بالاسد يحزن ويندم وينتحر كمدا كالبشر ·

« الحلال بين والحرام بين » ·· كما قال نبينا عليه الصلاة والسلام ·

« استفت قلبك وان أفتاك الناس » ·

لسنا فى حاجة الى كلية شريعة لنعرف الخطأ من الصواب والحق من الباطل والحرام من الحلال ·· فقد وضع الله فى قلب كل منا كلية شريعة ·· وميزانا لا يخطىء ، وكل ما نحن مطالبون به أن نجلو نفوسنا من غواشى المادة ومن كثافة الشهوات فنبصر ونرى ونعرف ونميز بدون عكاز « الخبرة الاجتماعية » وذلك بنور الله الذى اسمه الضمير ·

(يا أيها الذين آمنو ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا)
٢٩ ـ الانفال

يقول الله فى الحديث القدسى للصوفى محمد بن عبد الجبار :
« كيف تيأس منى وفى قلبك سفيرى ومتحدثى » ·

الضمير حقيقة ثابتة والقيم الاخلاقية الاساسية هى بالمثل ثابتة فقتل البرىء لن يصبح يوما ما فضيلة وكذا السرقة

والكذب وايذاء الآخرين والفحشــاء والفجور والبذاءة والغلظة والقسوة والنفاق والخيانة كل هذه نقائص خلقية ، وســـوف تظل هكذا الى أن يرث الله الارض ومن عليها ٠

وكذلك سوف تظل المحبة والرحمة والصدق والحلم والعفو والاحسان فضائل ٠٠ ولن تتحول الى جرائم الا اذا فســدت السموات والارض وساد الجنون وانتهى العقل ٠



● هل مناسك الحج وثنيّة ؟

قال صاحبى وهو يفرك يديه ارتياحا ويبتسم ابتسامة خبيثة تبدى نواجذه وقد لمعت عيناه بذلك البريق الذى يبدو فى وجه الملاكم حينما يتأهب لتوجيه ضربة قاضية ٠

ـ ألا تلاحظ معى أن مناسك الحج عندكم هى وثنية صريحة٠ ذلك البناء الحجرى الذى تسمونه الكعبة وتتمسحون به وتطوفون حوله ، ورجم الشيطان ٠٠ والهرولة بين الصفا والمروة ، وتقبيل الحجر الاسود ٠٠ وحكاية السبع طوفات والسبع رجمات والسبع هرولات وهى بقايا من خرافة الارقام الطلسمية فى الشعوذات القديمة ، وثوب الاحرام الذى تلبسونه على اللحم ٠٠ لا تؤاخذنى اذا كنت أجرحك بهذه الصراحة ولكن لا حياء فى العلم ٠

وراح ينفث دخان سيجارته ببطء ويراقبنى من وراء نظارته٠

قلت فى هدوء :

ـ ألا تلاحظ معى أنت أيضا أن فى قوانين المادة التى درستها أن الاصغر يطوف حول الاكبر ، الالكترون فى الذرة يدور حول النواة ،والقمر حول الارض، والارض حول الشمس ، والشمس

حول المجرة ، والمجرة حول مجرة أكبر ، الى أن نصل الى «الاكبر مطلقا » وهو الله ٠٠ الا نقول « الله أكبر » ٠٠ أى أكبر من كل شىء ٠٠ وبالتالى وحسب قانونك العلمى يجب ان يطوف حوله كل شىء ٠٠ وانت الآن تطوف حوله ضمن مجموعتك الشمسية رغم أنفك ولا تملك الا أن تطوف فلا شىء ثابت فى الكون الا الله هو الصمد الصامد الساكن والكل فى حركه حوله ٠٠ وهذا هو قانون الاصغر والاكبر الذى تعلمته فى الفيزياء ٠٠ اما نحن فنطوف باختيارنا حول بيت الله ٠٠ وهو أول بيت اتخذه الانسان لعبادة الله ٠٠ فأصبح من ذلك التاريخ السحيق رمزا وبيتا لله ٠٠ الا تطوفون أنتم حول رجل محنط فى الكرملين تعظمونه وتقولون انه أفاد البشرية ، ولو عرفتم لشكسبير قبرا لتسابقتم الى زيارته بأكثر مما نتسابق الى زيارة قبر محمد عليه الصلاة والسلام ٠٠ ألا تضعون باقة ورد على نصب حجرى وتقولون انه يرمز للجندى المجهول فلماذا تلوموننا لاننا نلقى حجرا على نصب رمزى نقول انه يرمز الى الشيطان ٠٠ ألا تعيش فى هرولة من ميلادك الى موتك ثم بعد موتك يبدأ ابنك الهرولة من جديد وهى نفس الرحلة الرمزية من الصفا « الصفاء أو الخواء أو الفراغ رمز للعدم » الى المروة وهو النبع الذى يرمز الى الحياة والوجود ٠٠ من العدم الى الوجود ثم من الوجود الى العدم ٠٠ أليست هذه هى الحركة البندولية لكل المخلوقات ٠٠ ألا ترى فى مناسك الحج تلخيصا رمزيا عميقا لكل هذه الاسرار ٠

ورقم ٧ الذى تسخر منه ٠٠ دعنى أسألك ما السر فى أن درجات السلم الموسيقى ٧ صول لا سى دو رى مى فا ثم بعد المقام السابع يأتى جواب الصول من جديد ٠٠ فلا نجد ٨ وانما نعود الى سبع درجات أخرى وهلم جرا ، وكذلك درجات الطيف الضوئى ٧ وكذلك تدور الالكترونات حول نواة الذرة فى نطاقات ٧ والجنين لا يكتمل الا فى الشهر ٧ واذا ولد قبل ذلك يموت وأيام الاسبوع عندنا وعند جميع أفراد الجنس البشرى ٧ وضعوها كذلك دون أن يجلسوا ويتفقوا ٠٠ ألا يدل ذلك على

شيء .. أم أن كل هذه العلوم هي الاخرى شعوذات طلسمية .
ألا تقبل خطابا من حبيبتك ..هل أنت وثني ؟ فلماذا تلومنا اذا قبلنا ذلك الحجر الاسود الذى حمله نبينا محمد عليه الصلاة والسلام فى ثوبه وقبله . لا وثنية فى ذلك بالمرة .. لاننا لا نتجه بمناسك العبادة نحو الحجارة ذاتها .. وانما نحو المعانى العميقة والرموز والذكريات .

ان مناسك الحج هى عدة مناسبات لتحريك الفكر وبعث المشاعر واثارة التقوى فى القلب . أما ثوب الاحرام الذى نلبسه على اللحم ونشترط ألا يكون مخيطا فهو رمز للخروج من زينة الدنيا وللتجرد التام أمام حضرة الخالق .. تماما كما نأتى الى الدنيا فى اللفة ونخرج من الدنيا فى لفة وندخل القبر فى لفة .. ألا تشترطون أنتم لبس البدل الرسمية لمقابلة الملك ونحن نقول : انه لا شيء يليق بجلالة الله الا التجرد وخلع جميع الزينة لانه أعظم من جميع الملوك ولانه لا يصلح فى الوقفة أمامه الا التواضع التام والتجرد .. ولان هذا الثوب البسيط الذى يلبسه الغنى والفقير والمهراجا والمليونير أمام الله فيه معنى آخر للاخوة رغم تفاوت المراتب والثروات .

والحج عندنا اجتماع عظيم ومؤتمر سنوى .. ومثله صلاة الجمعة وهى المؤتمر الصغير الذى نلتقى فيه كل أسبوع .
هى كلها معان جميلة لمن يفكر ويتأمل .. وهى أبعد ما تكون عن الوثنية .
ولو وقفت معى فى عرفة بين عدة ملايين يقولون الله أكبر ويتلون القرآن بأكثر من عشرين لغة ويهتفون لبيك اللهم لبيك ويبكون ويذوبون شوقا وحبا ـ لبكيت انت أيضا دون أن تدرى وذبت فى الجمع الغفير من الخلق .. وأحسست بذلك الفناء والخشوع أمام الاله العظيم مالك الملك الذى بيده مقاليد كل شيء .

● لماذا لا يكون القرآن من تأليف محمد ؟

قال صاحبى وهو ينتقى عباراته :

ـ لا أريـد أن اجـرحك فأنا أعلـم اعتزازك بالقرآن وأنـا معك في أنه كتاب قيم ٠٠ ولكن لماذا لا يكون من تأليف محمد ٠٠ ان رجلا في عظمة محمد لا يستغرب منـــه أن يضع كتابا فى عظمة القرآن ٠٠ وسوف يكون هذا منطقيا أكثر من ان نقول ان الله أنزله ٠ فانا لم نر الله ينزل من السماء شيئا ٠٠ ونحن فى عصر من الصعب أن تقنع فيه انسانا بأن هناك ملاكا اسمه جبريل نزل من السماء بكتاب ليوحى به الى أحد ٠

قلت فى هدوء :

ـ بل نحن في عصر يسهل فيه تماما أن نصدق بأن هناك ملائكة لا ترى وبأن الحقائق يمكن أن تلقى الى الانسان وحيا ٠٠ فهم يتكلمون اليوم عن أطباق طائرة تنزل على الارض من كواكب بعيده واشعة غير منظورة تقتل ، وأمواجا لاسلكية تحدد الاهداف وتضربها ٠٠ وصورا تتحول الى ذبذبات فى الهواء ثم تستقبل فى أجهزة صغيرة كعلب التبغ ٠٠ وكاميرات تصور الاشباح ٠٠

وعيونا ترى في الظلام ٠٠ ورجلا يمشى على القمر ٠٠ وسفينة تنزل على المريخ ٠

لم يعد غريبا أن نسمع أن الله أرسل ملكا خفيا من ملائكته ٠٠ وانه ألقى بوحيه على أحد أنبيائه ٠٠ لقد أصبح وجود جبريل اليوم حقيقة من الدرجة الثانية ٠٠ وأقل عجبا وغرابة مما نرى ونسمع كل يوم ٠

أما لماذا لا نقول أن القرآن من تاليف محمد عليه الصلاة والسلام ٠٠ فلأن القرآن بشكله وعباراته وحروفه وما احتوى عليه من علوم ومعارف وأسرار وجمال بلاغى ودقة لغوية هو مما لايدخل فى قدرة بشر أن يؤلفه ٠٠ فاذا أضفنا الى ذلك أن محمدا عليه الصلاة والسلام كان أميا لايقرأ ولا يكتب ولم يتعلم فى مدرسة ولم يختلط بحضارة ولم يبرح شبه الجزيرة العربية فان احتمال الشك واحتمال القاء هذا السؤال يغدو مستحيلا ٠٠ والله يتحدى المنكرين أمثالك ممن زعموا أن القرآن مؤلف ٠

(قل فاتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله)

٣٨ ـ يونس

استعينوا بالجن والملائكة وعباقرة الانس وأتوا بسورة من مثله ٠

ومازال التحدى قائما ولم يأت أحد بشىء ٠

واذا نظرنا الى القرآن فى حياد وموضوعية فسوف نستبعد تماما ان يكون محمد عليه الصلاة والسلام هو مؤلفه ٠٠ أولا ٠٠ لانه لو كان مؤلفه لبث فيه همومه وأشجانه ونحن نراه فى عام واحد يفقد زوجه خديجة وعمه أبا طالب ولا سند له فى الحياة غيرهما ٠٠ وفجيعته فيهما لا تقدر ٠٠ ومع ذلك لا يأتى لهما ذكر فى القرآن ولا كلمة ٠٠ وكذلك يموت ابنه ابراهيم ويبكيه و لايأتى لذلك خبر فى القرآن ٠٠ القرآن معزول تماما عن الذات المحمدية ٠

بل ان الآية لتأتى مناقضة لما يفعله محمد وما يفكر فيه ٠٠ وأحيانا تنزل الآية معاتبة له كما حدث بصدد الاعمى الذى

انصرف عنه النبي الى أشراف قريش .

(عبس وتولى ان جاءه الاعمى ومايدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى) ١ ـ ٤ عبس

وأحيانا تنزل الآية فتنقض عملا من أعمال النبي .

(ما كان لنبي ان يكـــون له اسرى حتى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة .. لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم) ٦٧ ـ الانفال

وأحيانا يأمر القرآن محمدا عليه الصلاة والسلام بأن يقول لاتباعه مالا يمكن ان يقوله لو أنه كان يؤلف الكلام تأليفا .

(قل ماكنت بدعا من الرسل وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم) ٩ ـ الأحقاف

لا يوجد نبى يتطوع من تلقاء نفســه ليقول لأتباعه لا أدرى ما يفعل بى ولا بكم .. لا املك لنفسى ضرا ولا نفعا .. ولا املك لكم ضرا ولا نفعا ..

فان هذا يؤدى الى ان ينفض عنه أتباعه ..

وهذا ما حدث فقد اتخذ اليهود هذه الآية عذرا ليقولوا .. ما نفع هذا النبى الذى لايدرى ماذا يفعل به ولا بنا .. هـذا رجل لاجدوى فيه ..

مثل هذه الآيات ما كان يمكن ان يؤلفها النبى او كان يضع القرآن من عند نفسه .

ثانيا ـ لو نظرنا بعد ذلك فى العبارة القرآنية لوجدنا انها جديدة منفردة في رصفها وبنائها ومعمارها ليس لها شبيه فيما سبق من أدب العرب ولا شبيه فيما اتى لاحقا بعـــد ذلك .. حتى لتكاد اللغة تنقسم الى شعر ونثر وقرآن .. فنحن امام كلام هو نسيج وحده لا هو بالنثر ولا بالشـــعر . فموسيقى الشعر تأتى من الوزن ومن التقفية فنسمع الشاعر ابن الابرص الاسدي ينشد :

اقفـــر من اهـــله عبيــــد
فليس يبـــدى ولا يعيـــــد

هنا الموســـيقى تخرج من التشطير ومن التفقيه على الدال الممدودة ، فهى موسيقى خارجية ٠٠ أما موسيقى القرآن فهى موسيقى داخلية ٠

(**والضحى والليل اذا سجى**) ١ ـ الضحى

لا تشطير ولا تقفية فى هذه العبارة البسيطة ولكن الموسيقى تقطر منها ٠٠ من اين ٠٠ انها موسيقى داخلية ٠

اسمع هذه الآيات ٠

(**رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا**) ٤ ـ مريم

وهذه الآيات ٠

(**طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ٠ الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى ٠ الرحمن على العرش استوى**) طه ـ ١ ـ ٤

فاذا تناولت الايات تهديـــدا تحول بناء العبـــارة ونحتها الى جلاميد صخر وأصبح للايقاع صلصلة نحاسية تصخ السمع ٠

(**انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مســـتمر تنزع الناس كأنهم اعجاز نخل منقعر**) ١٩ ـ ٢٠ القمر

كلمات مثل « صرصرا » ٠٠ « ومنقعر » ٠٠ كل كلمة كأنها جلمود صخر ٠

فاذا جاءت الآية لتروى خبرا هائلا كما فى نهاية الطـوفان تقاصرت العبارات وكأنها اشـــارات مـــورس التلغرافية ، واصبحت الآية كلها كأنها تلغراف مقتضب له وقـــع هائل

(**وقيــــل يأرض ابلعى ماءك ، وياســـماء أقلعى وغيض الماء وقضى الامر**) ٤٤ ـ هود

هـــذا التلون فى نحت الالفاظ وفى بناء العبارة وفى ايقـاع الكلمات مع المعانى والمشـــاعر ٠٠ يبلغ فى القرآن ذروة ٠٠ ويأتى دائما منسابا لا تكلف فيه ولا تعمل ٠

ثالثا ـ اذا مضينا فى التحليل أكثر فانا سنكتشف الدقة البـالغة والاحكـام المذهل ٠٠ كل حرف فى مكانه لا تقـديم ولاتأخير ٠٠ لاتستطيع ان نضع كلمة مكان كلمة ولاحرفا مكان حرف ٠٠ كل لفظة تم اختيارها من مليون لفظة بميزان دقيق ٠

وسنرى ان هذه الدقة البالغة لا مثيل لها فى التأليف ٠

انظر الى هذه الكلمة « اواقح » فى الآية

(وأرسلنا الرياح لواقح) ٢٢ ـ الحجر

وكانوا يفسرونها فى الماضى على المعنى المجـازى بمعنى أن الرياح تثير السـحب فتسـقط المطر فيلقح الارض بمعنى « يخصبها » ، ثم عرفنا اليوم أن الرياح تسوق السحب ايجابية التكهرب وتلقى بها فى أحضـان السحب سـالبة التكهرب فيحدث البرق والرعد والمطر ٠٠ وهى بهذا المعنى « لواقح » أيضا ونعرف الآن أيضـا ان الرياح تنقل حبوب اللقاح من زهرة الى زهرة فتلقحها بالمعنى الحرفى ٠

فها نحن أمام كلمـة صادقة مجازيا وحرفيا وعلميا ثم هى بعد ذلك جميلة فنيا وأدبيا وذات ايقاع حلو ٠

هنـا نرى منتهى الدقة فى انتقاء اللفظـة ونحتها ، وفى آية أخرى ٠

(لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحـكام لتاكلوا فريقـا من امـوال النـاس بالاثم وأنتم تعلمون)
١٨٨ ـ البقرة

كلمة « تدلوا » ٠

مع أن الحاكم الذى تلقى اليـه الاموال فى الاعلى وليس فى الاسفل ٠٠ لا ٠٠ ان القرآن يصحح الوضـع ٠٠ فاليد التى تاخذ الرشـوة هى اليد السفلى ولو كانت يد الحاكم ٠٠ ومن هنا جاءت كلمة « تدلوا بها الى الحكام » لتعبر فى بلاغة لا مثيل لها عن دناءة المرتشى وسفله ٠

وفى آية الجهاد ٠

(مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض)
٣٨ ـ التوبة

القرآن يستعمل كلمة « اثاقلتم » بدلا من تثاقلتم ٠٠ يدمج الحروف ادماجا ويلصقها الصاقا ليعبر عن جبن الجبناء الذين يلتصقون بالارض « ويتربسون » فيها من الخوف اذا دعوا الى القتال فجاءت حروف الكلمة بالمثل « متربسة » ٠

وفي آية قتل الاولاد من الفقر نراها جاءت على صورتين :

(ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم)
١٥١ ـ الانعام

(ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم)
٣١ ـ الاسراء

والفرق بين الآيتين لم يأت اعتباطا وانما جاء لأسباب محسوبة ٠٠ فحينما يكون القتل من املاق فان معناه أن الاهل فقراء في الحاضر فيقول نحن « نرزقكم » واياهم ٠ وحينما يكون قتل الاولاد خشية املاق فان معناه أن الفقر هو احتمال في المستقبل ولهذا تشير الآية الى الابناء فتقول نحن «نرزقهم» واياكم ٠ مثل هذه الفروق لا يمكن أن تخطر على بال مؤلف ٠

وفي حالات التقديم والتأخير نجد دائما انه لحكمة ٠ نجد أن السارق مقدم على السارقة في آية السرقة بينما الزانية مقدمة على الزاني في آية الزنا ٠٠ وذلك لسبب واضح أن الرجل أكثر ايجابية في السرقة ٠٠ أما في الزنا فالمرأة هي التي تأخذ المبادرة ٠٠ من لحظة وقوفها أمام المرآة تضع البارفان ولمسات التواليت وتختار الفستان أعلى الركبة فانها تنصب الفخاخ للرجل الموعود ٠

(الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة)
٢ ـ النور

(والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) ٣٨ ـ المائدة

وبالمثل تقديم السمع على البصر في أكثر من ١٦ مكانا ٠

(وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) ٧٨ ـ النحل

(وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة) ٢٦ ـ الاحقاف

(اسمع بهم وأبصر) ٣٨ مريم

(ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا)
٣٦ ـ الاسرا
(وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم)
٢٢ ـ فصلت
(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) ١١ الشورى
دائما السمع أولا ٠
ولا شك أن السمع أكثر ارهافا وكمالا من البصر ٠
اننا نسمع الجن ولا نراه ٠
والانبياء سمعوا الله وكلموه ولم يره أحد ٠
وقد تلقى محمد عليه الصلاة والسلام القرآن سمعا ٠٠ والام تميز بكاء ابنها فى الزحام ولا تستطيع أن تميز وجهه ٠٠ والسمع يصاحب الانسان أثناء النوم فيظل صاحيا بينما تنام عيناه ، ومن حاول تشريح جهاز السمع يعلم أنه أعظم دقة وارهافا من جهاز البصر ٠
وبالمثل تقديم المال على الولد ٠
(يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم)
٨٨ ـ الشعراء
« انما اموالكم واولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم)
١٥ ـ التغابن
(لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) ١١٦ ـ آل عمران
(أيحسبون أن ما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون) ٥٥ ـ المؤمنون
(فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا) ٥٥ ـ التوبة
(اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته)
٢٠ ـ الحديد
والامثلة على هذا التقديم كثيرة ٠
والسر ان المال عند أكثر الناس اعز من الولد ٠٠

ثم الدقة والخفاء واللطف فى الاعراب · انظر الى هذه الآية ··

(وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما)
٩ ـ الحجرات

مرة عوملت الطائفتان على أنهما جمع (اقتتلوا) ومرة على انهما مثنى (**فاصلحوا بينهما**) والسر لطيف ·· فالطائفتان فى القتال تلتحمان وتصبحان (جمعاً) من الاذرع المتضاربة ·· بينما فى الصلح تنفصلان الى (اثنين) ·· وترسل كل واحدة عنها مندوبا ومن هنا قال :

(وان طائفتان من المؤمنين «اقتتلوا» فاصلحوا «بينهما») ·

حتى حروف الجر والوصل والعطف تأتى وتمتنع فى القرآن لاسباب عميقة وبحساب دقيق محكم ·· مثلا تأتى كلمة « يسألونك » فى أماكن عديدة من القرآن :

(يسالونك ماذا ينفقون قل العفو) ٢١٩ ـ البقرة
(يسالونك عن الروح قل الروح من امر ربى) ٨٥ ـ الاسراء
(يسالونك عن الاهلة قل هى مواقيت للناس والحج)
١٨٩ ـ البقرة

دائما الجواب بكلمة «قل » ·· ولكنها حين تأتى عن الجبال :

(يسالونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا) ١٠٥ ـ طه
هنا لاول مرة جاءت « **فقل** » بدلا من « **قل** » ·

والسبب ان كل الاسئلة السابقة كانت قد سئلت بالفعل ، اما سؤال الجبال فلم يكن قد سئل بعد لانه من أسرار القيامة ، وكأنما يقول الله ، فاذا سألوك عن الجبال « **فقل** » ·· فجاءت الفاء زائدة لسبب محسوب ·

اما فى الآية

(واذا سالك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداعى) ·
١٨٦ ـ البقرة

هنا لاترد كلمة قل لان السؤال عن ذات الله ·· والله اولى بالاجابة عن نفسه ·

كذلك الضمير انا ونحن ·

يتكلم الله بضمير الجمع حيثما كان التعبير عن «فعل» الهى تشترك فيه مجموع الصفات الالهية كالخلق وانزال القرآن وحفظه ··

انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ٩ ـ الحجر

(**نحن خلقناكم فلولا تصدقون**) ٦٧ ـ الواقعة

(**انا انزلناه فى ليلة القدر** ١ ـ القدر

(**افرايتم ماتمنون . أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون**) ٥٩ ـ الواقعه

(**نحن خلقناهم وشددنا اسرهم واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا**) ٢٨ ـ الانسان

« **ونحن** » هنا تعبر عن جمعية الصفات الالهية وهى تعمل فى ابداع عظيم مثل عملية الخلق ·

أما اذا جاءت الآية فى مقام مخاطبة بين الله وعبده كما فى موقف المكالمة مع موسى ·· تأتى الآية بضمير المفرد ·

(**اننى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى واقم الصلاة لذكرى**) ١٤ ـ طـه

الله يقول « أنا » لان الحضرة هنا حضرة ذات ، وتنبيها منه سبحانه على مسألة التوحيد والوحدانية فى العبادة ·

ونجد مثل هذه الدقة الشديدة فى آيتين متشابهتين عن الصبر تفترق الواحدة عن الاخرى فى حرف اللام ·

يقول لقمان لولده :

(**واصبر على ماأصابك ان ذلك من عزم الامور**) ١٧ ـ لقمان

وفى آية اخرى عن الصبر نقرأ :

(**ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور**) ٤٣ ـ الشورى

الصبر فى الاولى « **من عزم الامور** » وفى الثانية « **لمن عزم الامور** » ·· وسر التوكيد باللام فى الثانية انه صبر مضاعف لانه صبر على عدوان بشرى لك فيه غريم وانت مطالب فيه بالصبر والمغفرة وهو أمر أشد على النفس من الصبر على القضاء الالهى الذى لاحيلة فيه ·

ونفس هذه الملاحظة عن « **اللام** » نجدها مرة أخرى فى آيتين عن انزال المطر وانبات الزرع :

(افرأيتم الماء الـذى تشربون أانتم انزلتموه مـن المـزن ام نحن المنزلون لو نشاء جعلناه اجاجا «اى مالحا») ٦٩ ـ الواقعة

وفى آية ثانية :

(افرأيتم ماتحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ، لو نشاء لجعلناه حطاما) ٦٥ الواقعة

فى الآية الاولى « **جعلناه** » أجاجا ‥ وفى الآية الثانيـــة « **لجعلناه** » حطاما واللام جاءت فى الثانية اضرورة التوكيد لان هناك من سوف يدعى بانه يستطيع ان يتلف الزرع كما يتلفه الخالق ويجعله حطاما ‥ بينما لن يستطيع أحد من البشر ان يدعى ان فى أمكانه ان ينزل من سحب السماء مطرا مالحـــا فلا حاجة الى توكيد باللام ‥

ونفس هـذه الدقة نجـدها فى وصـــف ابراهيم لربه فى القرآن بأنه :

(الذى يميتنى ثم يحيين) ٨١ الشعراء

(والذى هو يطعمنى ويسقين) ٧٩ ـ الشـعراء

فجاء بكلمة « **هو** » حينما تكلم عن « **الاطعام** » ليؤكد الفعل الالهى لانه ســوف يدعى الكل انهم يطعمـونه ويسـقونه ‥ بينما لن يدعى أحد بأنه يميته ويحييه كما يميته الله ويحييه ٠

ونجد هذه الدقة أيضـا حينمـا يخاطب القرآن المسـلمين قائلا :

(اذكرونى اذكركم) ١٥٢ ـ البقرة

ويخاطب اليهود قائلا :

(اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم) ٤٠ ـ البقرة

فاليهـود ماديون لايذكرون اللـه الا فى النعمـة والفائدة والمصلحة ، والمسلمون أكثر شفافية ويفهمون معنى ان يذكـر الله لذاته لالمصلحة ‥ وبنفس المعنى يقول الله للخاصة مـن أولى الالباب :

(اتقونى ياأولى الالباب) ١٩٧ ـ البقرة

ويقول للعوام :
(اتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة) ٢٤ البقرة
لان العوام لا يردعهم الا النار أما الخاصة فهم يعلمون أن الله أقوى من كل نار وانه يستطيع ان يجعل النار بردا وسلاما ان شـــاء ٠

ونجد مثل هــذه الدقة البالغة فى اختيــار اللفظ فى كلام ابليس حينما اقسم على ربه قائلا :
(فبعزتك لاغوينهم اجمعين) ٨٢ ــ ص
أقسم ابليس بالعزة الالهية ولم يقسم بغيرها فأثبت بذلك علمه وذكاءه لان هذه العزة الالهية هى التى اقتضت استغنــاء الله عن خلقه ٠ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ٠٠ ولــن يضروا الله شيئا فهو العزيز عن خلقه ، الغنى عن العالمين ٠

ويقول الله فى حديثه القدسى :
« هؤلاء فى النار ولا أبالى وهؤلاء فى الجنة ولا أبالى » ٠
وهذا مقتضى العزة الالهية ٠٠
وهى الثغرة الوحيدة التى يدخل منها ابليس ٠٠ فهــو بها يستطيع ان يضل ويوسوس لان الله لن يقهر احدا اختار الكفر على الايمان ٠٠ ولهذا قال « فبعزتك » لأغوينهم أجمعين ٠

(لاقعدن لهم صراطك المستقيم ولآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم) ١٦ ــ الاعراف
ذكر الجهات الاربع ولم يذكر من فوقهم ولا مــن تحتهم ٠٠ لان « فوق » الربوبية ، « وتحت » ، تواضع العبودية ٠٠ ومن لزم مكانه الادنى من ربه الاعلى ٠٠ لم يســتطع الشــيطان ان يدخل عليه ٠

ثم ذكر ابليس ان مقعده المفضل للاغواء سوف يكون الصراط المستقيم ٠٠ على طريق الخير وعلى سجادة الصـــلاة لان تارك الصلاة والسكير والعربيد ليس فى حاجة الى ابليس ليضـــله فقد تكفلت نفسه باضـــلاله ٠٠ انه انســان خرب ،، وابليس لص ذكى لايحب ان يضـــيع وقته بأن يحــوم حــول البيوت الخربة ٠

مثل آخر من أمثلة الدقة القرآنية نجده في سبق المغفرة على العذاب والرحمة على الغضب في القرآن ٠٠ فالله في الفاتحة هو الرحمن الرحيم قبل أن يكون مالك يوم الدين٠٠ وهو دائما يوصف بأنه يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ٠ تأتى المغفرة أولا قبل العذاب الا في مكانين في آية قطع اليد :

(يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء) ٤٠ ـ المائدة

لان العقوبة بقطع اليد عذاب دنيوى ٠٠ تليه مغفرة أخروية ٠٠ وفي كلام عيسى يوم القيامة عن المشركين الذين عبدوه من دون الله ٠٠ فيقول لربه :

(ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم) ١١٨ ـ المائدة

فلا يقول فانك انت الغفور الرحيم تأدبا ٠٠ ويذكر لهم العذاب قبل المغفرة ٠٠ لعظم الاثم الذى وقعوا فيه ٠

ونجد هذه الدقة القرآنية مرة أخرى في تناول القرآن للزمن ٠٠ فالمستقبل يأتي ذكره على لسان الخالق على أنه ماض ٠٠ فاحداث يوم القيامة ترد كلها على أنها ماض ٠

(ونفخ في الصور) ٩٩ ـ الكهف

(وانشقت السماء فهي يومئذ واهية) ١٦ ـ الحاقة

(وبرزت الجحيم للغاوين) ٩١ ـ الشعراء

(وعرضوا على ربك صفا) ٤٨ ـ الكهف

والسر في ذلك ان كل الاحداث حاضرها ومستقبلها قد حدثت في علم الله وليس عند الله زمن يحجب عنه المستقبل فهو سبحانه فوق الزمان والمكان ولهذا نقرأ العبارة القرآنية احيانا فنجد انها تتحدث عن زمانين مختلفين وتبدو في ظاهرها متناقضة مثل :

(اتى امر الله فلا تستعجلوه) ١ ـ النحل

فالامر قد أتى وحدث في الماضى ٠ لكن الله يخاطب الناس بأن لايستعجلوه كما لو كان مستقبلا لم يحدث بعد ٠٠ والسر كما شرحنا انه حدث في علم الله لكنه لم يحدث بعد في علم الناس ولا تناقض ٠٠ وانما دقة واحكام وخفاء واستسرار

وصدق فى المعانى العميقة ·

هذه بعض الامثلة للدقة البالغة والنحت المحكم فى بنـــاء العبارة القرآنية وفى اختيار الالفاظ واستخدام الحروف لازيادة ولا نقص ولا تقديم ولا تأخير الا بحســـــاب وميزان ولا نعرف لذلك مثيلا فى تأليف أو كتاب مؤلف ولانجده الا فى القرآن ·

أما لمحات العلم فى القرآن وعجائب الآيات الكونية التى أتت بالاسرار والخفايا التى لم تكتشـــــف الا فى عصرنا ، والتى لم يعرفها محمد عليه الصلاة والسلام ولا عصره فهى موضوع آخر يطول ، وله جلسة اخرى ·



● القرآن لايمكن أن يكون مؤلفاً

قلت لصديقى :

ربما كان حديث اليوم عن لمحات العلم فى القرآن أكثر اثارة لعقلك العلمى من جلستنا السابقة ٠٠ فما كان الفلك الحديث ولا علوم الذرة ولا علوم البيولوجيا والتشريح معروفة حينما نزلت الآيات الكونية فى القرآن منذ أكثر من ألف وثلاثمائة سنة لتتكلم عن السموات والارض والنجوم والكواكب وخلق الجنين وتكوين الانسان بما يتفق مع أحدث العلوم التى جاء بها عصرنا ٠

ولم يتعرض القرآن لهذه الموضوعات بتفصيل الكتاب العلمى المتخصص لانه جاء فى المقام الاول كتاب عقيدة ومنهج وتشريع ٠٠ ولو أنه تعرض لتلك الموضوعات بتفصيل ووضوح لصدم العرب بما لايفهمونه ٠٠ ولهذا لجأ الى أسلوب الاشارة واللمحة والومضة لتفسرها علوم المستقبل وكشوفه بعد ذلك بمئات السنين ٠٠ وتظهر للناس جيلا بعد جيل كآيات

ومعجزات على صدق نزول القرآن من الله الحق ٠

(سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أو لم يكف بربك انه على كل شىء شهيد) ٥٣ ـ فصلت

لانهم لم يكتفوا بشهادة الله على كتابه ٠٠ فأصبح من الضرورى أن نريهم ذلك بالآيات الكاشفة ٠

هكذا يقول الله فى كتابه ٠

ومازال القرآن يكشف لنا يوما بعد يوم مزيدا من تلك الآيات العجيبة ٠

حول كروية الارض جاءت هذه الآيات الصريحة التى تستخدم لفظ التكوير لتصف انزلاق الليل والنهار كنصفى كرة ٠

(يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) ٥ ـ الزمر

ثم الآية التى تصف دحو الارض ٠

(والارض بعد ذلك دحاها) ٣٠ ـ النازعات

ودحا هى الكلمة الوحيدة فى القاموس التى تعنى البسط والتكوير معا ٠٠ والارض كما هو معلوم مبسوطة فى الظاهر ومكورة فى الحقيقة بل هى أشبه بالدحية « البيضة » فى تكويرها ٠

ثم نقرأ اشارة اخرى صريحة عن ان الجبال تسبح فى الفضاء وبالتالى فالارض كلها تسبح بجبالها حيث هى والجبال كتلة واحدة ٠

(وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شىء) ٨٨ ـ النمل

فالجبال التى تبدو جامدة ساكنة هى فى الواقع سابحة فى الفضاء ٠٠ وتشبيه الجبال بالسحب فيه لمحة أخرى عن التكوين الهش للمادة ٠٠ التى نعرف الآن أنها مؤلفة من ذرات كما ان السحب مؤلفة من قطيرات ٠

ثم الكلام عن تواقت الليل والنهار دون ان يسبق أحدهما الآخر من مبدأ الخلق الى نهايته ٠

(لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار) ٤٠ ـ يس

اشارة أخرى الى كروية الارض ٠٠ حيث بدأ الليل والنهار معا وفى وقت واحد منذ بدء الخليقة كنصفى كـرة ولو كانت الارض مسطحه لتعاقب النهار والليل الواحـد بعـد الآخر بالضرورة ٠٠

ثم تأتى القيامة والارض فى ليل ونهار فى وقت واحد كمـا كانت يوم البدء ٠

(حتى اذا أخـذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها أتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس) ٢٤ ـ يونس

وفى قوله ليلا أو نهارا ٠٠ تأكيد لهذا التواقت الذى لاتفسير له الا أن نصف الارض محجوب عن الشـمس ومظلم والآخر مواجه للشمس ومضىء بحكم كونها كروية ولو كانت مسطحة لكان لها فى كل وقت وجه واحد ولما صح ان نقول :

(ولا الليل سابق النهار) ٤٠ ـ يس

ثم تعدد المشارق والمغارب فى القرآن فالله يوصف بأنه :

(رب المشارق والمغارب) ٤٠ ـ المعارج

و **(رب المشرقين ورب المغربين)** ١٧ ـ الرحمن

ولو كانت الارض مسطحة لكان هناك مشرق واحـد ومغرب واحـد ٠

يقول الانسان لشيطانه يوم القيامة :

(ياليت بيني وبينك بعد المشرقين) ٣٨ ـ الاعراف

ولاتكون المسافة على الارض ابعد ماتكون بين مشرقين الا اذا كانت الارض كروية ٠

ثم الكلام عن السماء بأن فيها مسارات ومجالات وطرقا :

(والسماء ذات الحبك) ٧ ـ الذاريات ٠

والحبك هى المسارات ٠

(والسماء ذات الرجع ٠٠ ـ ١١ ـ الطارق ٠٠

اى أنها ترجع كل مايرتفع فيها الى الارض ٠٠ ترجع بخـار الماء مطرا ٠٠ وترجع الاجسام بالجاذبية الارضية ٠ وترجـع الامواج اللاسلكية بانعكاسها من طبقة الايونوسفير ٠٠ كمـا

ترجع الاشعة الحرارية تحت الحمراء معكوسة الى الارض بنفس الطريقة فتدفئها فى الليل ٠
وكما تعكس السماء ماينقذف اليها من الارض كذلك تمتص وتعكس وتشتت ماينقذف اليها من العالم الخارجي وبذلك تحمى الارض من قذائف الاشعة الكونية المميتة والاشعة فوق البنفسجية القاتلة ٠٠ فهى تتصرف كأنها سقف ٠

(وجعلنا السماء سقفا محفوظا) ٣٢ ـ الانبياء

(والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون) ٤٧ ـ الذاريات

وهو مايعرف الان باسم تمدد الكون المضطرد ٠
وكان مثقال الذرة يعرف فى تلك الايام بأنه أصغر مثقال وكانت الذرة توصف بأنها جوهر فرد لا ينقسم ٠٠ فجاء القرآن ليقول بمثاقيل أصغر تنقسم اليها الذرة ٠٠ وكان أول كتاب يذكر شيئا اصغر من الذرة ٠

(لايعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر) ٣ ـ سبأ

كل هذه لمحات كاشفة قاطعة عن حقائق مذهلة مثل كروية الارض وطبيعة السماء والذرة وهى حقائق لم تكن تخطر على بال عاقل أو مجنون فى هذا العصر البائد الذى نزل فيه القرآن ٠
ثم بصيرة القرآن فى تكوين الانسان وكلامه عن النطفة المنوية وانفرادها بتحديد جنس المولود ٠

(والذى خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى)
٤٥ ـ النجم

وهى حقيقة بيولوجية لم تعرف الا هذا الزمان ٠٠ ونحن نقول الآن ان رأس الحيوان المنوى هو وحده الذى يحتوى على عوامل تحديد الجنس Sex Determination Factor
وتسوية البنان بما فيه من رسوم البصمات التى أوردها الله فى مجال التحدى عن البعث والتجسيد ٠

(ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه بل قادرين على ان نسوى بنانه) ٣ ـ ٤ ـ القيامة

بل سوف نجسد حتى ذلك البنان ونسويه كما كان ٠٠

وفي ذلك لفتة الى الاعجاز الملحوظ فى تسوية البنان بحيث لا يتشابه فيه اثنان .

واوهن البيوت فى القرآن هو بيت العنكبوت .. لم يقل الله خيط العنكبوت بل قال بيت العنكبوت .. وخيط العنكبوت كما هو معلوم أقوى من مثيله من الصلب أربع مرات .. انما الوهن فى البيت لا فى الخيط .. حيث يكون البيت أسوا ملجأ لمن يحتمى فيه فهو مصيدة لمن يقع فيه من الزوار الغرباء .. وهو مقتل حتى لأهله فالعنكبوت الأنثى تأكل زوجها بعد التلقيح .. وتأكل أولادها عند الفقس والاولاد يأكل بعضهم بعضا .

ان بيت العنكبوت هو ابلغ مثال يضرب عن سوء الملجأ وسوء المصير .

وهكذا حال من يلجأ لغير الله .. وهنا بلاغة الآية :

(مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) ٤١ ـ العنكبوت

وجاءت خاتمة الآية عبارة .. « **لوكانوا يعلمون** » .. اشارة الى انه علم لن يظهر الا متأخرا .. ومعلوم أن هذه الاسرار البيولوجية لم تظهر الا متأخرة .

كذلك نجد فى سورة الكهف :

(ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا)
٢٥ ـ الكهف

ونعرف الآن ان ثلاثمائة سنة بالتقويم الشمسى تساوى ثلاثمائة وتسعا بالتقويم القمرى باليوم والدقيقة والثانية .

وفى سورة مريم يحكى الله تبارك وتعالى عن مريم وكيف جاءها المخاض فآوت الى جذع النخلة وهى تتمنى الموت فناداها المنادى ان تهز بجذع النخلة وتأكل مايتساقط من رطب جني .

(فاجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فناداها من تحتها الا تحزنى قد جعل

ربك تحتك سريا وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلي واشربي وقرى عينا) ٢٣ ـ ٢٤ ـ ٢٥ مريم

ولماذا الرطب ؟!!

ان احدث بحث علمى عن الرطب يقول ان فيه مادة قابضة للرحم تساعد على الولادة وتساعد على منع النزيف بعد الولادة مثل مادة Oxytocin وان فيه مادة ملينة ٠٠ ومعلوم طبيا ان الملينات النباتية تفيد فى تسهيل وتأمين عملية الولادة بتنظيفها للقولون ٠

ان الحكمة العلمية لوصف الرطب وتوقيت تناول الرطب مع مخاض الولادة فيه دقة علمية واضحة ٠

هذه الامثلة من الصدق العلمى والصدق المجازى والصدق الحرفى هو ما أشار اليه الله سبحانه واصفا القرآن بأنه :

(لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) ٤٢ ـ فصلت

وبأنه :

(لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)

٨٢ ـ النساء

اختلافا بين الآيات وبين بعضها بمعنى تناقضها ٠٠ واختلافا عن الحقائق الثابتة التى سوف تكشفها العلوم ٠٠ وكلا الاختلافين نجده دائما فى الكتب المؤلفة ٠٠ ولهذا يحرص المؤلف على ان يضيف أو يحذف أو يعدل كلما أصدر طبعة جديدة من كتبه ٠٠ ونرى النظريات تتلو بعضها البعض مكذبة بعضها البعض ٠٠ ونرى المؤلف مهما راعى الدقة يقع فى التناقض ٠٠ وهى عيوب لانجدها فى القرآن ٠

وهو بعد ذلك معجزة لانه يخبرك عن ماض لم يؤرخ ويتنبأ بمستقبل لم يأت ٠

وقد صدقت نبوءات القرآن المتعددة ٠

عن انتصار الروم بعد هزيمتهم ٠

(غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين) ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ الروم

و « **بضع** » في اللغة هي مابين ثلاث وتسع ٠٠ وقد جاء انتصار الروم بعد سبع سنين ٠

وعن انتصار بدر :

(سيهزم الجمع ويولون الدبر) ٤٥ ـ القمر

وعن رؤيا دخول مكة :

(لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ٠٠ لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين) ٢٧ ـ الفتح

وقد كان ٠

ومازالت في القرآن نبوءات نراها تتحقق أمام اعيننا ٠٠ فهذا ابراهيم يدعو ربه :

(ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ٠٠ ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) ٣٧ ـ ابراهيم

لقد دعا بالرزق لهذا الوادى الجديب ٠

ثم جاء وعد الله لاهل مكة بالرخاء والغنى حينما أمرهم بمنع المشركين من زيارة البيت فخافوا البوار الاقتصادى والكساد ، « وكان أهل مكة يعتمدون في رواجهم على حج البيت » ٠٠ فقال ليطمئنهم :

(وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله) ٢٨ ـ التوبة

وهو وعد نراه الآن يتحقق أمامنا في البترول الذى يتدفق من الصحراء بلا حساب وترتفع اسعاره في جنون يوما بعد يوم ٠٠ ثم في كنوز اليورانيوم التي تخفيها تلك الصحارى بما يضمن لها الرخاء الى نهاية الزمان ٠

ثم نرى القرآن يحدثنا عن الغيب المطلسم من اسرار الجن والملائكة مما لم يكشف الا لقلة من المخصوصين من أهل التصوف ٠٠ فاذا رأى هؤلاء فهم لايرون الا مايوافق كلمة القرآن واذا طالعوا لايطالعون الا ما يطابق أسراره ٠

ثم هو يقدم لنا الكلمة الاخيرة في السياسة والاخلاق ونظم الحكم والحرب والسلم والاقتصاد والمجتمع والزواج والمعاشرة ، ويشرع لنا من محكم الشرائع مايسبق به ميثاق حقوق الانسان كل ذلك فى أسلوب منفرد وعبارة شامخة وبتيان جمالى وبلاغى هو نسيج وحده فى تاريخ اللغة ·

سالوا ابن عربى عن سر اعجاز القرآن فاجاب بكلمة واحدة هي : « الصدق المطلق » فكلمات القرآن صادقة صدقا مطلقـا ، بينما أقصى مايستطيعه مؤلف هو ان يصل الى صدق نسبى واقصى مايطمع فيه كاتب هو ان يكون صادقا حسب رؤيته ·· ومساحة الرؤية دائما محدودة ومتغيرة من عصر الى عصر ·· كل واحد منا يحيط بجانب من الحقيقة وتفوته جوانب ، ينظر من زاوية وتفوته زوايا ·· وما يصل اليه من صدق دائمـا صدق نسبى ·· أما صاحب العلم المحيط والبصر الشامل فهو الله وحده ·· وهو وحده القادر على الصـدق المطلق ·· ولهذا نقول على القرآن أنه من عند الله لانه اصاب الصدق المطلق فى كل شىء ·

سالوا محمدا عليه الصلاة والسلام عن القرآن فقال :

« فيه نبـا ماقبلكم وفصل مابينكم وخبر مابعدكم وهـو الفصل ليس بالهزل وهو الذكر الحكيم وهو حبل الله المتين · وهـو الصراط المستقيم · من تركه من جبار قصـمه الله · ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله · وهو الذى لا تلتبس به الالسـن · ولا تزيغ به العقول · ولا يخلق عـلى كثرة الرد · ولا يشبع منه العلماء · ولا تنقضى عجائبه » ·

وهذا هو كتابنا يا صديقى ·

ولهذه الصفات مجتمعة لا يمكن أن يكون مؤلفا ·

• شكوك

قال صاحبى :

ـ تقول ان القرآن لايتناقض مع نفسه فما بالك بهذه الآية
(**فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**) ٢٩ ـ الكهف
والآية الاخرى التى تنقضها :
(**وماتشاؤون الا أن يشاء الله**) ٣٠ ـ الانسان
ثم نجد القرآن يقول عن حساب المذنبين انهم سوف يسألون :
(**ستكتب شهادتهم ويسألون**) ١٩ ـ الزخرف
(**وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون**) ٤٤ ـ الزخرف
ومرة أخرى يقول :
(**ولايسأل عن ذنوبهم المجرمون**) ٧٨ ـ القصص
وأنهم سوف يعرفون بسيماهم ٠
(**فيؤخذ بالنواصى والاقدام**) ٤١ ـ الرحمن
ومرة يقول انه لا أحد سوف يشد وثاق المجرم
(**ولا يوثق وثاقه احد**) ٢٦ ـ الفجر
بمعنى أن كل واحد سوف يتكفل بتعذيب نفسه ٠

(كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) ١٤ ـ الاسراء

ومرة يقول :

(ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه) ٣٢ ـ الحاقة

قلت له :

ـ هذه ليست تناقضات ·· ولنفكر فيها معا ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ·· آية صريحة تشير الى حرية العبد واختياره ·· ولكن هذه الحرية لم نأخذها من الله غصبا وغلابا ·· وانما أعطاها لنا الله بمشيئته · فتأتى الآية الثانية لتشرح ذلك فتقول :

(وما تشاؤون الا ان يشاء الله)

أى ان حرية العبد ضمن مشيئة الرب وليست ضدها ·· أى ان حرية العبد يمكن انتناقض الرضا الالهىفتختار المعصية ولكنها لايمكن ان تناقض المشيئة ·· فهى تظل دائما ضمن المشيئة ولو خالفت الرضا ·· وهى نقطة دقيقة شرحناها فى موضوع المخير والمسير ·· وقلنا ان التسيير الالهى هو عين التخيير لان الله يختار للعبد من جنس نيته وقلبه ، ومعنى ذلك انه يريد للعبد نفس ماأراد العبد لنفسه بنيته واختيار قلبه ·· أى ان العبد مسير الى ما اختار ·· ومعنى ذلك انه لا اكراه وأنه لاثنائية ولا تناقض ·· وان التسيير هو عين التخيير ·· وهى مسألة من أدق المسائل فى فهم لغز المخير والمسير ·· وما تسميه أنت تناقضا هو فى الحقيقة جلاء ذلك السر ·

أما الآيات الواردة عن الحساب فان كل آية تعنى طائفة مختلفة فهناك من سوف يسأل وتطلب شهادته وهناك من ستكون ذنوبه من الكثرة بحيث تطفح على وجهه وهؤلاء هم الذين سوف يعرفون بسيماهم فيؤخذوا بالنواصى والاقدام ، وهناك المعاند المنكر الذى سوف تشهد عليه يداه ورجلاه ·

(اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون) ٦٥ ـ يس

وهناك من سيكون حسيبا على نفسه يعذبها بالندم ويشد وثاقها بالحسرة .. وهو الذى لايوثق وثاقه أحد .

وهناك أكابر المجرمين الجبارين الذين سوف يكذبون على الله وهم يواجهونه ويحلفون الكذب وهم فى الموقف العظيم .

(يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شىء الا انهم هم الكاذبون) ١٨ ـ المجادلة

وهؤلاء هم الذين سوف يسحبون على وجوههم ويوثقون فى السلاسل .

وأبو حامد الغزالى يفسر هذه السلاسل بانها سلاسل الاسباب .

ـ وما رأيك فى كلام القرآن عن العلم الالهى .

(ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الارحام وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس باى ارض تموت) ٣٤ ـ لقمان

يقول القرآن أن الله اختص نفسه بهذا العلم لا يعلمه غيره .

(وعنده مفاتح الغيب لايعلمها الا هو) ٥٩ ـ الانعام

فما بالك الآن بالطبيب الذى يستطيع ان يعلم ما بالارحام ويستطيع ان يتنبأ أن كان ذكرا أم انثى .. وما بالك بالعلماء الذين انزلوا المطر الصناعى بالاساليب الكيماوية .

ـ لم يتكلم القرآن عن انزال المطر وانما عن انزال الغيث وهو المطر الغزير الكثيف الذى ينزل بكميات تكفى لتغيير مصير امة واغاثتها ونقلها من حال الجدب الى حال الخصب والرخاء .. والمطر بهذه الكميات لايمكن انزاله بتجربة .

اما علم الله لما فى الارحام فهو علم كلى محيط وليس فقط علما بجنس المولود هل هو ذكر ام أنثى وانما علم بمن يكون ذلك المولود وما شأنه وماذا سيفعل فى الدنيا وما تاريخه من يوم يولد الى يوم يموت .. وهو أمر لا يستطيع أن يعلمه طبيب .

ـ وما حكاية كرسي الله الذي تقولون انه وسع السماوات والارض ٠٠ وعرش الله الذي يحمله ثمانية ٠
ـ ان عقلك يسع السماوات والارض وانت البشر الذي لاتذكر ٠٠ فكيف لايسعها كرسى الله ٠٠ والارض والشمس والكواكب والنجوم والمجرات محمولة بقوة الله في الفضاء ٠٠ فكيف تعجب لحمل عرش
ـ وما هو الكرسى وما العرش ٠
ـ قل لى ما الالكترون أقل لك ما الكرسى ٠٠ قل لى ما الكهرباء ٠٠ قل لى ما الجاذبية ٠٠ قل لى ما الزمان ٠٠ انك لاتعرف ماهية أى شيء لتسألني ما الكرسى وما العرش ٠٠ ان العالم ملىء بالاسرار وهذه بعض أسراره ٠
ـ والنملة التي تكلمت فى القرآن وحذرت بقية النمل من قدوم سليمان وجيشه ٠
(قالت نملة يا أيها النمل أدخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده) ١٨ ـ النمل
ـ لو قرأت القليل عن علم الحشرات الآن لما سألت هذا السؤال ٠٠ ان علم الحشرات حافل بدراسات مستفيضة عن لغة النمل ولغة النحل ٠
ولغة النمل الآن حقيقة مؤكدة ٠٠ فما كان من الممكن ان تتوزع الوظائف في خلية من مئات الالوف ويتم التنظيم وتنقل الاوامر والتعليمات بين هذا الحشد الحاشد لولا أن هناك لغة التفاهم ولا محل للعجب فى أن نملة عرفت سليمان ٠٠ ألم يعرف الانسان الله ٠
ـ وكيف يمحو الله مايكتب في لوح قضائه ٠
(يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب)
أيخطىء ربكم كما نخطىء فى الحساب فنمحو ونثبت ٠٠ أم يراجع نفسه كما نراجع انفسنا ٠
ـ الله يمحو السيئة بان يلهمك بالحسنة ويقول فى كتابه :
(ان الحسنات يذهبن السيئات) ١١٤ ـ هود
ويقول عن عباده الصالحين :

وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصــلاة وايتاء الزكاة)
٧٣ ـ الانبياء
وبذلك يمحو الله دون ان يمحو وهذا سر الآية ٣٩ سورة الرعد التى ذكرتها
ـ وما رأيك فى الآية ؟
(وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) ٥٦ ـ الذاريات
هل كان الله فى حاجة لعبادتنا ؟!
ـ بل نحن المحتاجون لعبادته ٠
هل تعبد المرأة الجميلة حبا بأمـر تكليف ٠٠ أم أنك تلتذ بهذا الحب وتنتشى وتسعد لتذوقك لجمالها ٠٠ كذلك الله وهو الاجمل من كل جميل اذا عرفت جلاله وجماله وقدره عبـدته ووجدت فى عبادتك له غاية السعادة والنشوة ٠
ان العبـادة عندنا لاتكون الا عن معرفة ٠٠ واللـه لايعبـد الا بالعلم ٠٠ ومعرفة الله هى ذروة المعارف كلها ونهاية رحلـة طويلة من المعارف تبدأ منذ الميلاد وأول مايعرف الطفل عنـد ميلاده هو ثدى أمه وتلك أول لذة ثم يتعرف على أمه وأبيــــه وعائلته ومجتمعــه وبيئته ثم يبدأ فى اسـتغلال هذه البيئـــة لمنفعته فاذا هى ثدى آخر كبير يدر عليه الثراء والمغانم والملذات فهو يخرج من الارض الذهب والماس ومن البحر اللآلىء ومــن الزرع الفواكه والثمار وتلك هى اللذة الثانية فى رحلة المعرفة ثم ينتقل من معرفته لبيئته الارضية ليخرج الى الســـماوات ويضع رجله على القمر ويطلق سفائنه الى المريخ فى ملاحة نحو المجهول ليستمتع بلذة أخرى اكبر هى لذة استطلاع الكون ثم يرجع ذلك الملاح ليسأل نفسه ٠٠ ومن أنا الذى عرفت هـــذا كله ٠٠ ليبدأ رحلة معرفة جديدة الى نفسه بهدف معرفة نفسه والتحكم فى طاقاتها وادارتها لصالحه وصالح الآخرين وتلك لذة اخرى ٠ ثم تكون ذروة المعارف بعد معرفة النفس هى معرفـة الرب الذى خلق تلك النفس ٠ وبهــذه المعرفــة الاخـيرة يبلغ الانسان ذروة السعادات لانه يلتقى بالكامل المتعال الاجمل من كل جميل ٠٠ تلك هى رحلة العابد على طريق العبادة ٠٠ وكلها

ورود ومسرات . واذا كانت في الحياة مشقة .. فلان قاطف الورود لابد ان تدمى يديه الاشـــواك .. والطامـع فى ذرى اللانهاية لابد أن يكدح اليها .. ولكن وصول العابد الى معرفة ربه وانكشاف الغطاء عن عينيه . ما أروعه .. يقول الصوفى لابس الخرقة .. « نحن في لذة لو عرفها الملوك لقاتلونا عليها بالسيوف » تلك هى لذة العبادة الحقة .. وهى من نصـيب العابد .. ولكن الله فى غنى عنهـا وعـن العالمين .. ونحـن لانعبده بامر تكليف ولكنا نعبده لاننا عرفنا جماله وجلاله .. ونحن لانجد في عبادته ذلا بل تحررا وكرامة .. تحررا من كل عبوديات الدنيا .. تحررا من الشـهوات والغرائز والاطمـاع والمال .. ونحن نخاف الله فلا نعود نخاف أحدا بعده ولا نعود نعبأ بأحد .. خوف الله شجاعة .. وعبادته حرية .. والذل له كرامة .. ومعرفته يقين وتلك هى العبادة .. نحـن الذين نجنى أرباحها ومسراتها .. أما الله فهو الغنى عن كل شىء .. انما خلقنا الله ليعطينا لاليأخذ منا .. خلقنا ليخلع علينـا من كمالاته فهو السميع البصير وقد أعطانا سمعا وبصرا وهـو العليم الخبير وقد أعطانا العقل لنتزود من علمه والحواس لنتزود من خبرته وهـو يقول لعبـده المقرب في الحـديث القدسى :

(عبدى اطعنى اجعلك ربانيا تقل للشىء كن فيكون)

ألم يفعل هذا لعيسى عليه السـلام .. فكان عيسى يحيى الموتى باذنه ويخلق من الطـين طـيرا باذنه ويشـفى الاعمى والابرص باذنه .

العبوديـة للـه اذن هى عكس العبودية فى مفهومنـا .. فالعبودية فى مفهومنا هى ان يأخـذ السـيد خـير العبـد اما العبودية لله فهى عـل العكس أن يعطى السـيد لعبده مالا حدود له من النعم ويخلع عليـه مالا نهاية مـن الكمـالات .. فحينما يقول الله :

(ماخلقت الجن والانس الا ليعبدون) ٥٦ ـ الذاريات

فمعناها الباطن ما خلقت الجن والانس الا لاعطيهم وامنحهم حبـا وخـيرا وكرامة وعـزة وأخـلع عليهم ثوب التشريف والخلافة .

فالسيد الرب غنى مستغن عن عبادتنا ٠٠ ونحن المحتاجون الى هذه العبادة والشرف والمواهب والخيرات التى لا حد لها ٠

فالله الكريم سمح لنا ان ندخل عليه فى أى وقت بلا ميعـاد ونبقى فى حضرته ماشئنا وندعوه ماوسـعنا ٠٠ بمجرد ان نبسط سجادة الصلاة ونقول « الله أكبر » نصبح فى حضرته نطلب منه مانشاء ٠

أين هو الملك الذى نستطيع ان ندخل عليه بلا ميعاد ونلبث فى حضرته مانشاء ؟!

وفى ذلك يقول مولانا العبد الصـالح الشـيخ محمد متولى الشعراوى فى شعر جميل :

حسب نفسى عزا اننى عبـد
يحتفى بى بلا مواعيـد رب
هو فى قدسـه الاعز ولكـن
أنـا ألقى متى وحـين أحـب

ويقول : أرونى صنعة تعرض على صانعها خمس مرات فى اليوم « يقصد الصلوات الخمس » وتتعرض للتلف !
وهـذه بعض المعانى الباطنة فى الآية التى اثارت شكوكك :

(وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) ٠

ولو تأملتها لمـا أثارت فيك الا الذهول والاعجاب ٠



• موقف الدين من التطور

قال صاحبى :

ـ موقفك اليوم سيكون صعبا فعليك ان تثبت ان خلق الانسان جاء على طريقة جلا جلا ‥ أمسك الخالق قطعة طين ثم عجنها فى يده ونفخ فيها فاذا بها آدم‥وهو كلام تخالفك فيه بشدة علوم التطور التى تقول ان صاحبك آدم جاء نتيجة سلسلة من الاطوار الحيوانية السابقة وأنه ليس مقطوع الصلة بأفراد عائلته من الحيوانات وأنه والقرود أولاد عمومة يلتقون معا فى سابع جد ‥ وان التشابه الاكيد فى تفاصيل البنية التشريحية للجميع يدل على أنهم جميعا أفراد أسرة واحدة ٠

قلت وأنا أستعد لمعركة علمية دسمة :

ـ دعنى أصحح معلوماتك أولا فأقول لك أن الله لم يخلق آدم على طريقة جلا جلا ‥ ها هنا قطعة طين ننفخ فيها فتكون آدم ‥ فالقرآن يروى قصة مختلفة تماما عن خلق آدم قصة يتم فيها الخلق على مراحل وأطوار وزمن الهى مديد والقرآن يقول ان الانسان لم يخرج من الطين مباشرة وانما خرج من سلالة جاءت من الطين ٠

(ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين) ١٢ ـ المؤمنون
وان الانسان في البدء لم يكن شيئا يذكر :
(هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا)
٢١ ـ الانسان
وان خلقه جاء على أطوار :
(مالكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم اطوارا)
(ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس) ١١ ـ الأعراف
(واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين)
٧١ ـ ٧٢ ـ ص
معنى ذلك أن هناك مراحل بدأت بالخلق ثم التصوير ‥ ثم التسوية ثم النفخ ‥ « وثم » بالزمن الالهى معناها ملايين السنين ٠
(ان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون) ٤٧ ـ الحج
انظر الى هذه المراحل الزمنية للخلق فى سورة السجدة ‥ يقول الله سبحانه انه :
(بدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) ٧ ـ ٨ ـ ٩ ـ السجدة
فى البدء كان الطين ثم جاءت سلالة من ماء مهين هى البدايات الاولى للانسان التى لم تكن شيئا مذكورا ثم التسوية والتصوير ثم نفخ الروح التى بها أصبح للانسان سمع وبصر وفؤاد ‥ وأصبح آدما ‥ فآدم اذن نهاية سلسلة من الاطوار وليس بدءا مطلقا على طريقة جلا جلا ٠
(والله انبتكم من الارض نباتا) ١٧ ـ نوح
هنا عملية انبات بكل ما فى الانبات من اطوار ومراحل وزمن ٠
ولكن اللغز الحقيقى هو ‥ ماذا كانت تلك المراحل بالضبط وماذا كانت تلك الاطوار ٠

هل كل شجرة الحياة من أب واحد .

هى كلها من الطين بحكم التركيب الكيميائى .. وكلها تنتهى بالموت الى أصلها الترابى .. هذه حقيقة .

ولكننا نقصد من كلمة اب شيئا أكثر من الاصل الطينى .

السؤال هو هل تولدت من الطين خلية أولى تعددت وانجبت كل تلك الانواع والفصائل النباتية والحيوانية بما فى ذلك الانســـان .

أم انه كانت هنـــاك بدايات متعددة .. بداية تطورت الى نباتات وبداية تطورت الى فرع من فروع الحيـوان كالاسـفنج مثلا وبداية أخرى خرج منها فرع آخر كالاسماك وبداية خرجت منها الزواحف وبداية خرجت منها الطيور وبداية خرجت منها الثدييات وبداية خرج منها الانسان وبذلك يكون للانسان جد منفصل ويكون لكل نوع جد خاص به .

ان التشابه التشريحى للفروع والانواع والفصائل لا ينفى خروج كل نوع من بداية خاصـة وانما يدل هـــذا التشابه التشريحى فى الجميع على وحدة الخالق وأن صانعها جميعا واحد لانه خلقها جميعا من خامة واحدة وبأسلوب واحد وبخطة واحدة هذه هى النتيجة الحتمية .. ولكن خروجها كلها من أب واحد ليس نتيجة محتمة لتشابهها التشريحى .. فوسائل المواصلات تتشابه فيما بينها العربة والقطار والترام والديزل كلها تقوم على أسس هندســـية وتركيبية متشابهة دالة بذلك على أنها جميعا من اختراع العقل البشرى .. ولكن هذا لا يمنع أن كل صنف منها جاء من أب مستقل ومن فكرة هندسية مستقلة .

كما اننـــا لا يصح أن نقول ان عربة اليد تطورت تلقائيا بحكم القوانين الباطنة فيها الى عربة حنطور ثم الى عربة فورد ثم الى قطار ثم الى ديزل .. فالواقع غير ذلك .. وهو أن كل طور من هذه الاطوار جاء بطفرة ذهنية فى عقل المخترع وقفزة ابداع فى عقل المهنـــدس .. لم يخرج نوع من آخر مـــع أن الترتيب الزمنى قد يؤيد فكرة خروج نوع من نوع .. ولـــكن ما حدث كان غير ذلك فكل نوع جاء بطفرة ابداعية من العقل المخترع وبدأ مســـتقلا .

وهذه هى أخطاء داروين والمطبات والثغرات التى وقع فيها حينما صاغ نظريته ٠

ودعنا نتذكر معا ما قال داروين فى كتابه «أصل الانواع» :

كان أول ما اكتشفه داروين أثناء رحلته بالسفينة بيجل هى الخطة التشريحية الواحـــدة التى بنيت عليها كل الفصـــائل الحيوانية ٠٠ فالهيكل العظمى واحد فى أغلب الحيوانات الفقرية الذراع فى القرد هو نفس الجناح فى الطائر هـــو نفس الجناح فى الخفاش كل عظمة هنـــا تقابلها عظمة تناظرها هنـــاك مع تحورات طفيفة لتلائم الوظيفة فالعظام فى الطيور رقيقة وخفيفة ومجوفة وهى مغطاة بالريش ٠٠ ثم نجد رقبة الزرافة الطويلة بها سبع فقرات ورقبة الانسان سبع فقرات ورقبة القنفذ التى لا تذكر من فرط قصرها هى الاخرى ســـبع فقرات وهنـــاك خمس أصابع فى يد الانسان ونجد نفس التخميس فى أصابع القرد والارنب والضفدعة والسحلية ٠٠ وفترة الحمل فى الحوت والقرد والانسان تسعة أشهر وفترة الارضاع فى الجميع سنتان وفقرات الذيل فى القرد نجدها فى الانسان متدامجة ملتصقة فيما يسمى بالعصعص ونجد عضـــلات الذيل قد تحورت فى الانسان الى قاع متين للحوض ٠٠ ثم نجد القلب بغرفه الاربع فى الحصان والحمار والارنب والحمامة والإنســـان ونفس الخطة فى تفرع الشرايين والاوردة ٠٠ ثم نجـــد نفس الخطـــة فى الجهـــاز الهضمى ، البلعوم ثم المعـــدة ثم الاثنا عشر ثم الامعاء الدقيقة ثم الامعـــاء الغليظة ثم الشرج والجهـــاز التناسلى نفس الخصـــية والمبيض وقنوات الخصـــية وقنوات المبيض وكذلك الجهاز البولى نفس الكلية والحالب وحويصلة البول ٠٠ والجهاز التنفسى ٠٠ القصبة الهوائية والرئتين ٠ ونجد أن الرئة فى البرمائيات هى نفس كيس العوم فى السمكة ٠

كان طبيعيا بعد هذا أن يتصور داروين أن الحيوانات كلها افراد أسرة واحدة تفرقت بهم البيئات فتكيفت كل فصيلة مع بيئتها ٠٠ الحوت فى المنطقة الجليدية لبس معطفا من الشحم٠٠ والدببة لبست الفراء وانسان الغابة فى الشمس الاستوائية

اسود جلده فاصبح كالمظلة الواقية ليقيه الشمس · وسحالى الكهوف ضمرت عيونها لانها لا تجد لها فائدة فى الظلام فأصبحت عمياء بينما سحالى البرارى نراها مبصرة ·والحيوانات التى نزلت الماء طورت اطرافها الى زعانف والتى غزت الجو طورت أطرافها الى أجنحة وزواحف الارض طورت أطرافها الى أرجل ·

ثم ألا يحكى الجنين القصة ففى مرحلة من مراحل نموه نراه يتنفس بالخياشيم ثم تضمر الخياشيم وتظهر فيه الرئتان وفى مرحلة نجد له ذيلا ثم يضمر الذيل ويختفى وفى مرحلة نراه يكتسى بالشعر ثم ينحسر بعد ذلك الشعر عن جسمه ·

ثم ألا تحكى لنا طبقات الصخور بما حفظت لنا من حفريات قصة متسلسلة الحلقات عن ظهور واختفاء هذه الانواع الواحد بعد الآخر من الحيوانات البسيطة وحيدة الخلية الى عديدة الخلايا الى الرخويات الى القشريات الى الاسماك الى البرمائيات الى الزاحفات الى الطيور الى الثدييات ·· وأخيرا الى الانسان ·

ولقد أصاب داروين وأبدع حينما وضع هذه المقدمة القيمة فى التشابه التشريحى بين الحيوانات وأصاب حينما قال بالتطور ·

ولكنه أخطأ حينما حاول أن يفسر عملية الارتقاء وأخطأ حينما حاول أن يتصور مراحل هذا الارتقاء وتفاصيله ·

كان تفسير داروين لعملية الارتقاء أنه يتم بالعوامل المادية التلقائية وحدها ·· حيث تتقاتل الحيوانات بالناب والمخلب فى صراع الحياة الدموى الرهيب فيموت الضعيف ويكون البقاء دائما للاصلح ·· تلك الحرب الناشبة فى الطبيعة هى التى تفرز الصالح والقوى وتشجعه وتبقى على نسله وتفسح أمامه سبل الحياة ·

واذا كانت هذه النظرية تفسر لنا بقاء الاقوى فانها لا تفسر لنا بقاء الاجمل ·· فان الجناح المنقوش لا يمتاز بأى صلاحيات مادية أو معاشية عن الجناح الابيض · وليس أكفأ منه فى الطيران ·

واذا قلنا ان الذكر يفضل الجناح المنقوش ·· فى التزاوج

فسوف نسأل ولماذا .. ما دام هذا التنفس لا يمثل أى مزيد من الكفاءة .

واذا دخل تفضيل الاجمل فى الحساب فان النظرية المادية تنهار من أساسها .

وتبقى النظرية بعد ذلك عاجزة عن تفسير لماذا خرج من عائلة الحمار شيء كالحصان ولماذا خرج من عائلة الوعل شيء رقيق مرهف وجميل كالغزال .. مع أنه أقل قوة وأقل احتمالا كيف نفسر جناح الهدهد وريشة الطاووس وموديلات الفراش بالوانها البديعة ونقوشها المذهلة .. نحن هنا أمام يد مصور فنان ماهر يتفنن ويبدع .. ولسنا أمام عملية غليظة كصراع البقاء وحرب المخلب والناب .

والخطأ الثانى فى نظرية التطور جاء بعد ذلك من أصحاب نظرية الطفرة .

والطفرات هى الصفات الجديدة المفاجئة التى تظهر فى النسل نتيجة تغيرات غير محسوبة فى عملية تزاوج الخلية الانثوية والخلية الذكرية ولقاء الكروموسومات لتحديد الصفات الوراثيـــة .

وأحيانا تكون هذه الصفات الجديدة صفات ضارة كالمسوخ والتشوهات وأحيانا تكون طفرات مفيدة للبيئة الجديدة للحيوان كأن تظهر للحيوان الذى ينزل الماء أرجل مبططة .. فتكون صفة جديدة مفيدة لان الارجل المبططة أنسب للسباحة فتشجع الطبيعة هذه الصفة وتنقلها الى الاجيال الجديدة وتقضى على الصفة القديمة لعدم صلاحيتها وبذلك يحدث الارتقاء وتتطور الارجل العادية الى أرجل غشائية .

وخطأ هذه النظرية أنها أقامت التطور على أساس الطفرات والاخطاء العشوائية ..وأسقطت عملية التدبير والابداع تماما .

ولا يمكن أن تصلح هذه الطفرات العشوائية أساسا لما نرى حولنا من دقة وابداع واحكام فى كل شيء .

ان البعوضة تضع بيضها فى المستنقع .. وكل بيضة تأتى الى الوجود مزودة بكيسين للطفو .

من أين تعلمت البعوضة قوانين أرشميدس لتزود بيضها بهذه الاكياس الطافية ٠

واشجار الصحارى تنتج بذورا مجنحة تطير مع الرياح اميالا وتنتشر فى مساحات واسعة بلا حدود ٠

من أين تعلمت أشجار الصحارى قوانين الحمل الهوائى لتصنع لنفسها هذه البذور المجنحة التى تطير مئات الاميال بحثا عن أراض ملائمة للانبات ٠

وهذه النباتات المفترسة التى تصطنع لنفسها الفخاخ والشراك الخداعية العجيبة لتتصيد الحشرات وتهضمها وتأكلها٠ بأى عقل استطاعت أن تصطنع تلك الحيل ٠

نحن هنا أمام عقل كلى يفكر ويبتكر لمخلوقاته ويبدع لها أسباب الحيل ٠

لا يمكن تصور حدوث الارتقاء بدون هذا العقل المبدع ٠

(الذى اعطى كل شىء خلقه ثم هدى) ٥٠ ـ طه

والعقبة الثالثة أمام نظرية داروين ٠٠ هى ما اكتشفناه الآن باسم الخريطة الكروموسومية ٠ أو خريطة الجينات ٠٠ ونحن نعلم الآن أن لكل نوع حيوانى خريطة كروموسومية خاصة به ويستحيل أن يخرج نوع من نوع بسبب اختلاف هذه الخريطة الكروموسومية ٠

نخلص من هذا الى أن نظرية داروين تعثرت واذا كان التشابه التشريحى بين الحيوانات حقيقة متفقا عليها ٠

واذا كان التطور أيضا حقيقة ٠٠ الا أن مراحل هذا التطور وكيفياته ما زالت لغزا :

هل كانت هناك بدايات مستقلة ام أن بعض الفروع تلتقى عند أصول واحدة ٠

والتطور وارد باللفظ الصريح فى القرآن ٠٠ كما أن مراحل الخلق والتصوير والتسوية ونفخ الروح واردة ٠

ولكن لم يستقر العلم على نظرية ثابتة لتلك المراحل بعد ٠٠ واذا عدنا لسورة السجدة التى تحكى عن الله أنه :

(بدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) ٧ ـ ٨ ـ ٩ ـ السجدة

فان معنى الآية صريح في أن البدايات الاولى للانسان التى جاء منها آدم فيما بعد وهى تلك التى جاء نسلها من ماء مهين٠٠ لم يكن لها سمع ولا أبصار ولا افئدة ٠

وانما جاءت هذه الابصار والاسماع والافئدة بعد نفخ الروح وهى آخر مراحل خلق آدم ٠

هى اذن بدايات أشبه بالحياة الحيوانية المتخلفة ٠

(هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا)
٢١ ـ الانسان

ولا اظن أن هذا يختلف عن العلوم التى تتحدث عنها ٠

والحقيقة بعد هذا ما زالت لغزا ٠٠ ولا يستطيع أحـــد أن يدعى أنه كشف الحقيقة ٠٠ وقد يكون ماحدث شيئا غير كـل ما قلنا وغير كل ما تصور العلماء والسؤال مازال مفتوحا للبحث وكل ما جاء به العلم فروض ٠



• كلمة

لا إله إلا الله

قال صاحبى :

ـ ألست معى فى أنكم تبالغون كثيرا فى استخدام كلمة لا اله الا الله وكأنها مفتاح لكل باب ٠٠ تشيعون بها الميت وتستقبلون الوليد وتطبعونها على الاختام وتنقشونها على القلائد وتصكون بها العملات وتعلقونها على الجدران ٠ من ينطق بها منكم تقولون ان جسمه اعتق من النار ٠٠ فاذا نطق بها مائة ألف مرة دخل الجنة وكأنها طلسم سحرى أو تعويذة لطرد الجن أو قمقم لحبس المردة ٠٠ ثم هذه الحروف التى لا تعرفون لها معنى ٠٠ أ ٠ ل ٠ م ٠ كهيعص ٠٠ طسم ٠٠ حم ٠٠ الر ٠

هل أنجو من العذاب اذا قلت لا اله الا الله ٠ اذن فانى أقولها وأشهدك وأشهد الحضور على ذلك ٠٠ لا اله الا الله ٠٠ هل انتهى الامر ٠

ـ بل لم تقل شيئا ٠

ان لا اله الا الله لمن يعمل بها وليست لمن يشقشق بها لسانه لا اله الا الله منهج عمل وخطة حياة وليست مجرد حروف ٠٠ ودعنا نفكر قليلا فى معناها ٠٠ اننا حينما نقول لا اله الا الله نعنى

انه لا معبود الا الله وبين لا والا بين النفى والاثبات فى العبارة بين هاتين الدفتين تقع العقيدة كلها لا النافية تنفى الالوهية عن كل شيء ٠٠ عن كل ما نعبد من مشتهيات في الدنيا ٠٠ عن المال والجاه والسلطان واللذات وترف العيش والنساء الباهرات والعز الفاره ٠٠ لكل هذا نقول لا ٠٠ لا نعبدك ٠٠ لست الها ٠٠ ثم نقول لا لنفوسنا التى تشتهى تلك الاشياء لان الانسان يعبد نفسه فى العادة ويعبد رأيه ويعبد هواه واختياره ومزاجه ويعبد ذكاءه ومواهبه وشهرته ويتصور أن بيده مقاليد الامور وأقدار الناس والمجتمع ٠٠ ويجعل من نفسه الها دون أن يدرى ٠٠ لهذه النفس نحن نقول لا ٠٠ لا نعبدك ٠٠ لست الها ٠

نقول « لا » ـ للمدير والرئيس والحاكم ٠٠ لا لست الها ٠

ومعنى كلمة « اله » أى « فاعل » ٠٠ والفاعل بحق عندنا هو الله ، أما كل هذه الاشياء فوسائط وأسباب ٠ المدير والوزير والرئيس والمال والجاه والسلطان والنفس بذكائها ومواهبها ٠٠ لكل هذا نقول لا ٠٠ لست الها ٠

« الا » ـ واحد نستثنيه ونثبت له تلك الفاعلية والقدرة هـو الله ٠

وبين لا والا بين هذا النفى وهذا الاثبات تقع العقيدة كلها فمن كان مشغولا بجمع المال وتكديس الثروات وتملق السلطان والتزلف للرؤساء وتحرى اللذات واتباع هوى نفسه وتعشق رأيه والتعصب لوجهة نظره ٠٠ فهو لم يقل لا لكل هذه المعبودات وهو ساجد فى محرابها دون أن يدرى وحينما يقول لا اله الا الله فهو يقولها كاذبا ٠٠ يقول بلسانه مالا يفعل بيديه ورجليه ٠

ومعنى « لا اله الا الله » انه لا حسيب ولا رقيب الا الله ٠٠ هو وحده الجدير بالخشية والخوف والمراقبة ٠٠ فمن كان يخاف المرض ومن كان يخاف الميكروب ومن كان يخاف عصا الشرطى وجند الحاكم فانه لم يقل « لا » ٠٠ لكل تلك الآلهة الوهمية ٠٠ وانما هو ما زال ساجدا لها وقد أشرك مع خالقه كل تلك الالهة

المزيفة ·· فهو كاذب في كلمة « لا اله الا الله » ·
ومعنى ذلك أن « لا اله الا الله » عهد ودستور ومنهج حياة ·
والمقصود بها ·· العمل بها ·
فمن عمل بها كانت له طلسما بالفعل يفتح له كل الابواب العصية ·· وكانت نجاة في الدنيا والآخرة ومدخلا الى الجنة ·
أما نطق اللسان بدون تصديق القلب وعمل الجوارح ·· فانه لا يغنى ·
و « لا اله الا الله » تعنى أكثر من هذا موقفا فلسفيا ·
يقول الدكتور زكي نجيب محمود ان « **شهادة لا اله الا الله** » تتضمن الاقرار بثلاث حقائق ·· أن الشاهد موجود والمشهود موجود · والحضور الذين تلقى أمامهم الشهادة موجودون أيضا أى أنها اقرار صريح بأن الذات والله والآخرين لهم جميعا وجود حقيقى ·
وبهذا يرفض الاسلام الفلسفة المثالية كما يرفض الفلسفة المادية في ذات الوقت ·· يرفض اليمين واليسار معا ويختار موقفا وسطا ·
يرفض المثالية الفلسفية ·· لان المثالية الفلسفية لا تعترف بوجود الآخرين ولا بوجود العالم الموضوعى كحقيقة خارجية مستقلة عن العقل ·· وانما كل شىء فى نظر الفلسفة المثالية يجرى كأنه حلم فى دماغ ·· أو أفكار فى عقل ·· أنت والراديو والشارع والمجتمع والصحيفة والحرب كلها حوادث مرائى وأحلام تجرى فى عقلى ·· لا وجود حقيقى للعالم الخارجى ·
وهذا الموقف المثالى المتطرف يرفضه الاسلام وترفضه الشهادة لانها كما قلنا اقرار صريح بأن الشاهد والمشهود والحضور الذين تلقى أمامهم الشهادة أى الذات والله والآخرين حقائق مقررة ·
كما يرفض الاسلام ايضا الفلسفة الماديه لان الفلسفة المادية تعترف بالعالم الموضوعى ولكنها تنكر ما وراءه ·· تنكر الغيب والله ·

والاسلام بهذا يقدم فلسفة واقعية وفكرا واقعيا فيعترف بالعالم الموضوعي ثم يضيف الى هذا العالم كل الثراء الذى يتضمنه الوجود الالهى الغيبى .. ويقدم تركيبا جدليا جامعا بين فكر اليمين وفكر اليسار في فلسفة جامعة ما زالت تتحدى كل اجتهاد المفكرين فتسبق ما سطروا من نظريات ظنية لا تقوم على يقين .

شهادة « لا اله الا الله » تعنى اذن منهج حياة وموقفا فلسفيا .

ولهذا فأنت تكذب وأنت الرجل المادى الذى اخترت موقفا فلسفيا ماديا وأنت تنطق بالشهادة كذبتين :

الكذبة الاولى ـ أنك تشهد بما ينافى فلسفتك .

والكذبة الثانية ـ أنك لا تعمل بهذه الشهادة فى حياتك قدر خردلة .

أما حكاية أ . ل . م . وكهيعص . حم . الر .. فدعنى اسألك .. وما حكاية س ص ولوغاريتم ومعادلة الطاقة ط = ك × س٢ وهى ألغاز وطلاسم بالنسبة لمن لا يعرف شيئا في الحساب والجبر والرياضيات .. وعند العالمين لها معاني خطيرة .

كذلك هذه الحروف حينما يكشف لنا عن معناها .

قال صاحبى فى سخرية :

ـ وهل كشف لك عن معناها ؟.

قلت وأنا ألقى بالقنبلة :

ـ هذا موضوع مثير يحتاج الى كلام آخر طويل سوف يدهشك .

● كهيعص

قلت لصديقي الملحد :

ـ لا شك أن هـــذه الحروف المقطعة فى أوائل السور قد صدمتك حينما طالعتها لأول مرة ٠٠ هذه ال حم طسم أ ل م كهيعص ٠٠ ق ٠٠ ص ٠٠ ترى ماذا قلت لنفسك وأنت تقرأها؟
اكتفى بأن يمط شفتيه فى لامبالاة ويقول فى غمغمة مبتورة:
ـ يعنى ٠
ـ يعنى ماذا ٠
ـ يعنى ٠٠ أى كلام يضحك به النبى عليكم
ـ حسنا دعنا نختبر هذا الكلام الذى تدعى أنه كلام فارغ والذى تصورت أن النبى يضحك به علينا ٠
ودعنا نأخذ ســورة صغيرة بسيطة من هـــذه الســـور ٠٠ سورة ق مثـــلا ٠٠ ونجرى تجربة ٠٠ فنعد ما فيها من قافات وسنجد أن فيها ٥٧ قافا . ثم نأخـــذ الســـــورة التالية وهى سورة الشورى وهى ضعفها فى الطول وفى فواتحها حرف ق أيضا ٠٠ وسنجد أن فيها هى الاخرى ٥٧ قافا ٠
هل هى صدفة ٠٠ لنجمع ٥٧ + ٥٧ = ١١٤ عدد سور

القرآن ·· هل تذكر كيف تبدا سورة ق ·· وكيف تختتم ·· في بدايتها « ق والقرآن المجيد » ·· وفي ختامها ·· « فذكر بالقرآن من يخاف وعيد » ·· وكأنما هي اشارات بأن ق ترمز للقرآن ·· « ومجمـوع القافات ١١٤ وهي مجمـوع سـور القرآن » ·

قال صاحبي في لامبالاة :
ـ هذه أمور من قبيل الصدف ·

قلت في هدوء :
ـ سنمضي في التجربة ونضـع سـور القرآن في العقل الالكتروني ونسأله ان يقدم لنا احصائية بمعدلات توارد حرف القاف في جميع السور ·

قال وقد توترت أعصابه وتيقظ تماما :
ـ وهل فعلوها ؟
قلت في هدوء :
ـ نعم فعلوها ·
ـ وماذا كانت النتيجة ·
ـ قال لنـا العقل الالكتروني ان أعلى المتوسطات والمعدلات موجودة في سورة ق وان هذه السورة قد تفوقت حسابيا علـى كل المصحف في هذا الحرف ·· هل هي صدفة أخرى ·
ـ غريب ·
ـ وسـورة الرعد تبـدأ بالحرف ا ل م ر قدم لنـا العقل الالكتروني احصائية بتوارد هـذه الحروف في داخل السـور كالآتي :
ا ترد ٦٢٥ مرة
ل ترد ٤٧٩ مرة
م ترد ٢٦٠ مرة
ر ترد ١٣٧ مرة
هكذا وفي ترتيب تنازلي ا ثم ل ثم م ثم ر بنفس الترتيب الذي كتبت به ا ل م ر تنازليا ثم قام العقل الالكتروني باحصاء

معدلات توارد هـذه الحروف فى المصحف كله ·· وألقى الينا بالقنبلة الثانية ·· أن أعلى المعدلات والمتوسطات لهذه الحروف هى فى سورة الرعد ·· وان هذه السورة تفوقت حسابيا فى هذه الحروف على جميع المصحف ·

نفس الحكاية فى ا ل م البقرة ·

ا وردت ٤٥٩٢ مرة

ل وردت ٣٢٠٤ مرات

م وردت ٢١٩٥ مرة

بنفس الترتيب التنازلى ا ل م ·

ثم يقول لنا العقل الالكترونى أن هـذه الحروف الثلاثة لها تفوق حسابى على باقى الحروف فى داخل سورة البقرة ·

نفس الحكاية فى ا ل م سورة آل عمران ·

ا وردت ٢٥٧٨ مرة

ل وردت ١٨٨٥ مرة

م وردت ١٢٥١ مرة

بنفس الترتيب التنازلى ا ل م وهى تتوارد فى السـورة بمعدلات أعلى من باقى الحروف ·

نفس الحكاية ا ل م سورة العنكبوت ·

ا وردت ٧٨٤ مرة

ل وردت ٥٥٤ مرة

م وردت ٣٤٤ مرة

بنفس الترتيب التنازلى ا ل م وهى تتوارد فى السـورة بمعدلات أعلى من باقى الحروف ·

نفس الحكاية فى ا ل م سورة الروم ·

ا وردت ٥٤٧ مرة

ل وردت ٣٩٦ مرة

م وردت ٣١٨ مرة

بنفس الترتيب التنازلى ا ل م ثم هى تتوارد فى السـورة بمعدلات أعلى من باقى الحروف ·

وفى جميـع السور التى ابتدأت بالحروف ا ل م نجد أن السور المكية تتفوق حسـابيا فى معدلاتها على باقى السـور

المكية ، والمدنية تتفوق حسابيا في معدلاتها من هـذه الحروف على باقي السور المدنية ٠
وبالمثل في ا ل م ص سورة الاعراف ٠
يقول لنا العقل الالكتروني أن معدلات هـــذه الحروف هي أعلى ما تكون في سورة الاعراف ، وأنها تتفوق حسابيا على كل السـور المكية في المصـحف ٠
وفي سورة طه نجد أن الحرف ط والحرف هـ يتواردان فيها بمعدلات تتفوق على كل السور المكية ٠٠ وكذلك في كهيعص مريم ترتفع معدلات هـــذه الحروف على كل السور المكية في المصـحف ٠
كما نجد أن جميع السور التى افتتحت بالحروف حم ٠٠ اذا ضمت الى بعضها فان معدلات توارد الحرف ح والحرف م تتفوق على كل السور المكية في المصحف ٠
وبالمثل السورتان اللتان افتتحتا بحرف ص وهما سورة ص والاعراف « ا ل م ص » ويلاحظ أنهمـا نزلتـا متتابعتين في الوحى ٠٠ اذا ضمتا معا تفوقتا حسابيا في هذه الحروف على باقي المصـحف ٠
وكذلك السـور التى افتتحت بالحروف ا ل ر وهى ابراهيم ويونس وهود ويوسف والحجر وأربع منها جاءت متتابعة في تواريخ الوحى ٠٠ اذا ضـمت لبعضـها ٠٠ أعطانا العقل الالكترونى أعلى معـدلات في نسـبة توارد حروفها ا ل ر على كل السـور المكية في المصـحف ٠
أما في سـورة يس فاننا نلاحظ أن الدلالة موجودة ولكنها انعكست ٠٠ لان ترتيب الحروف انعكس ، فالياء في الاول يس « بعكس الترتيب الابجدى » ٠
ولهذا نرى أن توارد الحرف ى والحرف س في السورة هو أقل من تواردە في جميع المصحف مدنيا ومكيا ٠
فالدلالة الاحصائية هنا موجودة ولكنها انعكست ٠
كان صاحبى قد سكت تماما ٠
قلت وأنا أطمئنه :
ـ أنا لا أقول هذا الكلام من عند نفسى وانما هى دراسـة

قام بها عالم مصرى فى امريكا هو الدكتور رشــاد خليفة ٠٠
وهذا الكتاب الذى بين يديك يقدم لك هذه الدراسة مفصلة ٠

Miracle of the Quran

Islamic Productions international in St. Louis mo

وقدمت اليه كتابا انجليزيا مطبوعا فى أمريكا للمؤلف ٠
أخذ صاحبى يقلب الكتاب فى صمت ٠
قلت :
ـ لم تعد المسألة صدفة ٠٠ وانما نحن امام قوانين محــكمة وحروف محسوبة كل حرف وضع بميزان ورحت أتلو عليــــه من ســـورة الشــورى ٠
(الله الذى انزل الكتاب بالحــق والميزان) ١٧ ـ الشورى
وأى ميزان ٠٠ نحن هنا أمام ميزان يدق حتى يزن الشعرة والحرف ٠٠ اظن أن فــكرة النبى الذى يؤلف القــرآن ويقول لنفســه سلفا سوف أؤلف ســـــورة الرعد من حروف ا ل م ر وأورد بها أعلى معدلات من هذه الحروف على باقى الكتاب وهو لم يؤلف بعد الكتاب مثل هذا الظن لم يعــــد جائزا ٠٠ وأين هذا الذى يحصى له هذه المعدلات وهى مهمة لا يستطيع أن يقوم بها الا عقل الكترونى ولو تكفل هو بها فانه سيقضى بضع سنين يحصى الحروف فى سورة واحـــدة يجمع ويطرح بعلوم عصره وهو لايعرف حتى علوم عصره وهل سيؤلف أو يشتغل عــدادا للحروف ٠
نحن هنــا أمام استحالة ٠
فاذا عرفنا أن القرآن نزل مفرقا ومقطعا على ٢٣ ســـنة ٠٠ فانا سوف نعرف أن وضع معدلات احصائية مسبقة بحروفه هى استحالة أخرى ٠٠ وأمر لا يمكن أن يعرفه الا العليم الذى يعلم كل شىء قبل حدوثه والذى يحصى بأسرع وأدق من كل العقول الالكترونيـــة ٠٠ الله الذى احاط بكل شىء علما ٠٠ وما هذه الحروف المقطعة فى فواتح السور الا رموز علمه بثها

فى تضاعيف ... معها نحن على مدى الزمان .

(سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) ٥٣ فصلت

ولا أقول ان هذه كل أسرار الحروف .. بل هى مجرد بداية لا أحد يدرى الى أى آفاق سوف توصلنا .

وهذه الحروف بهذه الدلالة الجديدة تنفى نفيا باتا شبهة التأليف .

ثم هى تضعنا أمام موازين دقيقة ودلالات عميقة لكل حرف فلا يجرؤ احدنا ان يقول انه أمام .. اى كلام .. الا ترى يا صاحبى أنك أمام كلام لا يمكن ان يكون أى كلام .

ولم يجب صاحبى . وانما ظل يقلب الكتاب الانجليزى ويتصفحه ثم يعود فيقلبه دون أن ينطق بحرف .



• المعجزة

قال صاحبى :

ـ لا أفهم كيف يجوز للرب الرحيم الذى تصفونه بأنه رءوف ودود كريم عفو غفور ٠٠ كيف يمكن لهذا الرب أن يأمر نبيه الخليل المقرب ابراهيم بأن يذبح ولده ٠٠ ألا ترى معى أن هذه مسألة صعبة التصديق ؟

ـ القصة تدل من سياقها وأحداثها على أن مراد الله من ابراهيم لم يكن ذبح ابنه بدليل أن الذبح لم يحدث ٠٠ وانما كان المراد أن يذبح ابراهيم شغفه الزائد بابنه ومحبته الزائدة لابنه وتعلقه الزائد بابنه ٠٠ اذ لا يجوز أن يكون فى قلب النبى تعلق بغير الله ٠٠ لا دنيا ولا ولد ولا جاه ولا سلطان ٠٠ كل هذه الامور لا يصح أن يتعلق بها قلب النبى ٠٠ وكما هو معلوم كان اسماعيل قد جاء لأبيه ابراهيم على كبر وعلى شيخوخة ٠٠ فشغف به الشيخ وتعلق به ٠٠ فجاء امتحان الله لنبيه ضروريا ٠٠ وما حدث فى القصة يدل على سلامة هذا التفسير ٠٠ فما أن صدع النبى لأمر ربه وأشرع سكينه ليذبح ولده حتى جاء أمر السماء بالفداء ٠

ـ وما رأيك في معجزات ابراهيم العجيبة ودخوله النار دون أن يحترق .. وما فعله موسى من بعده حينما أخرج من عصاه ثعبانا ثم حينما شق بهذه العصا البحر ثم حينما اخرج يده من تحت ابطه فاذا هي بيضاء .. ألا تبدو هذه الامور وكأنها عرض بهلواني في سيرك .. وكيف يدلل الله على قدرته وعظمته بهذه البهلوانيات التي هي في حد ذاتها .. صنوف من اللامعقول .. وأمثلة من خرق النظام .. الا يبدو ان البرهان الاقوى على عظمة الله هو النظام والعقل والانضباط والقوانين في سريانها الجميل في الكون دون أن تخرق .

ـ لقد فهمت المعجزة خطأ .. وتصورتها خطأ .

المعجزة في تصورك عمل بهلواني وخرق للقانون ولا معقول ولكن الحقيقة غير ذلك .

ودعني أقرب الموضوع الى ذهنك بمثل .. لو انه قدر لك ان تعود ثلاثة آلاف سنة الى الوراء ثم تدخل على فرعون مصر في ذلك الزمن البائد ومعك ترانزستور في حجم علبة الثقاب يتكلم ويغني من تلقاء نفسه .. ترى ماذا سيكون حال فرعون وحاشيته ـ سيهتفون في ذهول بلا شك معجزة .. سحر .. لا معقول .. خرق لجميع القوانين .. ولكننا نعلم الآن انه لا اعجاز في الموضوع ولا سحر ولا خرق لأي قانون .. بل ان ما يحدث في داخل الترانزستور هو أمر يجرى حسب قوانين في علم الالكترونيات .. وانه معقول تماما . وسيكون الامر اعجب لو أنك دخلت على ملك بابل وفي يدك تليفزيون ينقل الصور من بلاد الروم .. وسوف يصعق ملك آشور عجبا لو أنك أدرت له أسطوانة بلاستيك فتكلمت .

بل ان التاريخ ليحفظ لنا قصة مماثلة حينما نزل المستعمرون افريقيا .. وحطت أول طائرة لهم في الغابة وسط البدائيين .. ماذا حدث .. سجد الزنوج المراة على وجوههم ودقوا الطبول وذبحوا القرابين وظنوا أن الله نزل من سماواته وتصوروا فيما حدث خرقا لجميع العوائد .. مع أننا نعلم الآن ان الطائرة تطير بقانون وتنزل بقانون وأنها مصممة حسب

القوانين الهندسية المحكمة .. وان طيرانها أمر معقول تماما ـ وانها لا تخرق قانون الجاذبية .. وانما تتجاوز هـذا القانون بقانون آخر هو قانون الفعل ورد الفعل ، نحن اذن أمام تفاضل قوانين وليس أمام خرق قوانين .. والماء يصعد فى ساق النخلة ضد الجاذبية ليس بخرق هذه الجاذبية وانما بمجموعة قوانين فسيولوجية تتفاضل معها .. هى قانون تماسك العمود المائى وقانون الخاصة الشعرية وقانون الضغط الازموزى .. وهى جميعها قوانين تؤدى الى شد الماء الى أعلى .

نحن دائما لا نخرج عن العقل ولا عن المعقول وما حدث لم يكن بهلوانيات .. وانما كانت دهشة الزنوج البدائيين مردها جهلهم بهـذه القوانين .. وكذلك دهشـتك أمام شـق موسى للبحر واخراجه للثعبان من العصا واحياء عيسى للموتى ودخول ابراهيم للنار دون أن يحترق .. تصورت أنها لا معقول وخرق للقـوانين وبهلوانيات .. بينما هى تجرى جميعها عـلى وفاق قوانين الهية تتفاضل مـع القوانين التى نعرفها .. وهى اذن صنوف من النظام .. ومن المعقول .. ولكن أعلى من مداركنا والله لا يهدم النظام بهذه المعجزات وانما يشهدنا على نظام أعلى وقوانين أعلى وعقل اكبر من استيعابنا .

وقد وقع البهائيون فى نفس غلطتك حينما رفضوا المعجزات وتصوروا أن قبولها فيه امتهان للعقل وازدراء بالعقل فتحايلوا على القرآن وحرفوا معانيه عن ظاهرها فموسى لم يشق البحر بعصاه .. وانما كانت عصاه هى الشريعة التى فرقت الحق من الباطل وبالمثل كانت يده البيضاء هى رمز ليد الخير .. وبالمثل أحيا عيسى النفوس ولم يحى الاجسـاد .. وفتح العقول ولم يفتح العيـون العمياء .. وبهـذا أخرجوا القرآن عن معانيـه الحرفية الى تأويلات وتفسيرات مجازية ورمزية كلما اصطدموا بشىء لم يعقلوه .

وكان هذا لانهم أخطأوا فهم المعجزة وتصوروا أنها لا معقول وخرق للقانون وهدم للنظام .. وهو نفس ما وقعت فيه .

والحق أننا نعيش فى عصر لم تعد تستغرب فيه المعجزات .

وقد راينا العلم يأخذ بيدنا الى سطح القمر . واذا كان العلم البشرى اعطانا كل هذا السلطان ، فالعلم الالهى اللدنى لا شك يمكن أن يمدنا بسلطان أكبر .

استمع الى هذه الآية الجميلة :

(يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من أقطار السماوات والارض فانفذوا .. لا تنفذون الا بسلطان)
٣٣ ـ الرحمن

وهذا هو السلطان .. العلم البشرى .. واعظم منه العلم الالهى .



• معنى الدين

قال صاحبى :

ـ اسمع ٠٠ اذا كانت عندكم جنة كما تقولون ٠٠ فانا اول واحد سوف يدخلها فانا أكثر دينا من كثــير من دعاتكم من أصحاب اللحى والمسابح اياهم ٠

ـ أكثر دينا ٠٠ ماذا تعنى بهذا

ـ أعنى انى لا أوذى احــدا ولا اسرق ولا اقتل ولا أرتشى، ولا احسد ولا احقد ولا أضمر سوءا لمخلوق ولا أنوى الا الخير ولا أهدف الا الى النفع العام ٠٠ أصحو وأنام بضمير مستريح وشعار حياتى هو الاصلاح ما استطعت ٠٠ أليس هذا هو الدين الا تقولون عندكم أن الدين المعاملة ٠

ـ هذا شىء له اسم آخر ٠٠ اسمه حسن السير والسلوك ٠٠ وهو من مقتضيات الدين ولكنه ليس الدين ٠٠ انك تخلط بين الدين وبين مقتضياته ٠٠ والدين ليس له الا معنى واحد هــو معرفة الاله ٠٠ أن تعرف الهك حق المعرفة ويكون بينك وبين هذا الاله سلوك ومعاملة ٠٠ أن تعرف الهك عظيما جليلا قريبا مجيبا يسمع ويرى فتدعوه راكعا ساجدا خاشعا خشوع العبد

للرب .. هذه المعاملة الخاصة بينك وبين الرب هي الدين ..
أما حسن معاملتك لاخوانك فهي من مقتضيات هذا التدين وهي في حقيقة الامر معاملة للرب ايضا .

يقول نبينا عليه الصلاة والسلام

« ان الصدقة تقع في يد الله قبل ان تقع في يد السائل »

فمن احب الله احب مخلوقاته واحسن اليها .. أما اذا اقتصرت معاملاتك على الناس لا تعترف الا بهم ولا ترى غيرهم ولا ترى غير الدنيا فأنت كافر تماما وان احسنت السير والسلوك مع هؤلاء الناس .. انما يدل حسن سيرك وسلوكك على الفطانة والكياسة والسياسة والطبع اللبيب وليس على الدين . فأنت تريد ان تكسب الناس لتنجح في حياتك وحسن سيرك وسلوكك ذريعة الى كسب الدنيا فحسب .. وهذه طباع اكثر الكفار امثالك .

ـ صدقني أنا اشعر احيانا بان هناك قوة .

ـ قوة ..!

ـ نعم ثمة قوة مجهولة وراء الكون . أنا أومن تماما بأن هناك قوة .

ـ وما تصورك لهذه القوة .. اتتصورها كائنا يسمع ويرى ويعقل ويتعهد مخلوقاته بالرعاية والهداية وينزل لهم الكتب ويبعث لهم الرسل ويستجيب لصرخاتهم وتوسلاتهم .

ـ بصراحة انا لا أصدق هذا الكلام ولا أتصوره واكثر من هذا أراه ساذجا لا يليق بهذه القوة العظيمة .

ـ اذن فهي قوة كهرمغنطيسية عمياء تسوق الكون في عبثية لا خلاق لها .. وهذه هي الصفة التي تليق بقوتك العظيمة .

ـ ربما .

ـ بئس ما تصورت الهك . خلق لك البصر فتصورته أعمى .. وخلق لك الرشد فتصورته عابثا أخرق .. والله انك الكافر بعينه ولو أحسنت السير والسلوك مدى الدهر .. وان أعمالك الصالحة مصيرها الاحباط يوم الحساب وان تبدد هباء منثورا .

ـ ألا يكون هذا ظلما ٠

ـ بل هو عين العدل ٠٠ فقد تصورت هذه الاعمال من ذاتك ليس وراءها الهادى الذى هداك والرشيد الذى أرشدك ٠٠ فظلمت الهك وأنكرت فضله وهذا هو الفرق بين طيبات المؤمن وطيبات الكافر اذا استوى الاثنان فى حسن السير والسلوك الظاهر ٠٠ فكلاهما قد يبنى مستشفى لعلاج المرضى ٠٠ فيقول الكافر ٠٠ أنا بنيت هذا المستشفى العظيم للناس ٠

ويقول المؤمن : وفقنى ربى الى بناء هذا المستشفى للناس ٠ وما كنت الا واسطة خير ٠٠ وما أكبر الفرق ٠٠ واحد أسند الفضل لصاحب الفضل ولم يبق لنفسه فضلا الا مجرد الوساطة وحتى هذه يشكر عليها الله ويقول احمدك يا ربى أن جعلتنى سببا ٠٠ فارق كبير بين الكبرياء والتواضع ٠٠ وبين العلو وخفض الجناح ٠٠ بين الجبروت والوداعة ٠٠ ولهذا فأنتم في ديانتكم الوثنية لهذه القوة الكهرمغنطيسية العمياء لا تصلون ولا تسجدون ٠

ـ ولماذا نصلى ولمن نصلى ٠٠ انى لا أرى لصلاتكم هذه أى حكمة ٠٠ ولماذا كل تلك الحركات أما كان يكفى الخشوع ٠

ـ حكمة الصلاة أن يتحطم هذا الكبرياء المزيف الذى تعيش فيه لحظة سجودك وملامسة جبهتك التراب وقولك بلسانك وقلبك : « سبحان ربى الاعلى » ٠٠ وقد عرفت مكانك أخيرا وانك أنت الادنى وهو الاعلى ٠٠ وانك تراب على التراب وهو ذات منزهة من فوق سبع سماوات ٠

أما لماذا الحركات فى الصلاة ولماذا لا نكتفى بالخشوع القلبى فانى أسألك بدورى ولماذا خلق لك الجسد أصلا ٠ ولماذا لا تكتفى بالحب الشفوى فتريد أن تعانق وتقبل ٠٠ لماذا لا تكتفى بالكرم الشفوى فتجود باليد والمال ٠٠ بل خلق الله لك الجسد ليفضح قلبك ٠٠ فما كان فى قلبك بحق فاض على جسدك اذا كان خشوعك صادقا فاض على جسدك فركعت وسجدت ٠٠ وان كان خشوعك زائفا لم يتعد لسانك ٠

ـ هل تعتقد أنك ستدخل الجنة ٠

ـ كلنا سنرد النار ثم ينجي الله الذين اتقوا ، ولا أعرف حن اتقيت أم لا · يعـلـم هذا علام القلوب وكل عملي للاسف حبر على ورق ·· وقد يسلم العمل ولا تسلم النية ·· وقد تسلم النية ولا يسلم الاخلاص ·· فيظن الواحد منا أنه يعمل الخير لوجه الله وهو يعمله للشهرة والدنيا والجاه بين الناس ·· وما أكثر ما يخدع الواحد منا في نفسه ويدخل عليه التلبيس وحسن الظن والاطمئنان الكاذب من حيث لا يدرى ·· نسأل الله السلامة ·

ـ وهل يستطيع الانسان أن يكون مخلصا ؟

ـ لا يملك ذلك من تلقاء نفسه وانما الله هو الذى يخلص القلوب ولهذا يتكلم القرآن فى اكثر الآيات عن المخلصين ـ بفتح اللام ـ وليس المخلصين بكسر اللام · ولكن الله وعد بأن « يهدى اليه من ينيب » أى كل من يؤوب ويرجع اليه ·· فعليك بالرجوع اليه ·· وعليه الباقى ·



● فزنا بسعادة الدنيا وفزتم بالأوهام

قال صاحبي .. وكانت في نبرته فرحة رجل منتصر :

ـــ مهما اختلفنا ومهما طال بنا الجدل فلا شك أننا خرجنا من معركتنا معكم منتصرين فقد فزنا بسعادة الدنيا وخرجتم أنتم ببضعة أوهام في رؤوسكم .. وماذا يجدى الكلام وقد خرجنا من الدنيا بنصيب الاسد .. فلنا السهرة والسكرة والنساء الباهرات والنعيم الباذخ واللذات التي لا يعكرها خوف الحرام .. ولكم الصيام والصلاة والتسابيح وخوف الحساب .. من الذى ربح .

ـــ هذا لو كان ما ربحتموه هو السعادة .. ولكن لو فكرنا معا في هدوء لما وجدنا هذه الصورة التي وصفتها عن السهرة والسكرة والنساء الباهرات والنعيم الباذخ واللذات التي لا يعكرها خوف الحرام .. لما وجدنا هذه الصورة الا الشقاء بعينه .

ـــ الشقاء .. وكيف ؟

ـــ لانها فى حقيقتها عبودية لغرائز لا تشبع حتى تجوع واذا أتخمتها أصابها الضجر والملال وأصابك أنت البلادة والخمول ٠٠ هل تصلح أحضان امرأة لتكون مستقر سعادة والقلوب تتقلب والهوى لا يستقر على حال والغوانى يغرهن الثناء ٠٠ وما قرأنا فى قصص العشاق الا التعاسة فاذا تزوجوا كانت التعاسة أكبر وخيبة الامل أكبر لان كلا من الطرفين سوف يفتقد فى الآخر الكمال المعبود الذى كان يتخيله ٠٠ وبعد قضاء الوطر وفتور الشهوة يرى كل واحد عيوب الآخر بعدسة مكبرة ٠٠ وهل الثراء الفاحش الا عبودية اذ يضع الغنى نفسه فى خدمة أمواله وفى خدمة تكثيرها وتجميعها وحراستها فيصبح عبدها بعد أن كانت خادمته ٠٠ وهل السلطة والجاه الا مزلق الى الغرور والكبر والطغيان ٠٠ وهل راكب السلطان الا كراكب الاسد يوما هو راكبه ويوما هو مأكوله ٠٠ وهل الخمر والسكر والمخدرات والقمار والعربدة والجنس بعيدا عن العيون وبعيدا عن خوف الحرام سعادة ٠٠ وهل هى الا أنواع من الهروب من العقل والضمير وعطش الروح ومسئولية الانسان بالاغراق فى ضرام الشهوة وسعار الرغبات ٠٠ وهل هو ارتقاء أم هبوط الى حياة القرود وتسافد البهائم وتناكح السوائم ٠٠ صدق القرآن اذ يقول عن الكفار ٠٠ أنهم :

(يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم)

١٢ ـ محمد

فهو لم ينكر أنهم يتمتعون ولكن كما تتمتع الانعام ـ وكما ترعى السوائم ٠٠ وهل هذه سعادة ـ وهل حياة الشهوة تلك الا سلسلة من الشبق والتوترات والجوع الأكال والتخمة الخانقة لا تمت الى السعادة الحقة بسبب ٠٠ وهل تكون السعادة الحقة الا حالة من السلام والسكينة النفسية والتحرر الروحى من كافة العبوديات ٠٠ وهل هى فى تعريفها النهائى الا ، حالة صلح بين الانسان ونفسه وبين الانسان والآخرين وبين الانسان والله ، ٠٠ وهذه المصالحة والسلام والامن النفسى

لا تتحقق الا بالعمل ٠٠ بان يضع الانسان قوته وماله وصحته فى خدمة الآخرين وبان يحيا حياة الخير والبر نية وعملا وان تتصل العلاقة بينه وبين الله صلاة وخشوعا فيزيده الله سكينة ومددا ونورا ٠٠ وهل هذه السعادة الا الدين بعينه ٠٠ الم يقل الصوفى لابس الخرقة ٠٠ نحن فى لذة لو عرفها الملوك لقاتلونا عليها بالسيوف ٠٠ والذين عرفوا تلك اللذة ٠٠ لذة الصلة بالله والصلح مع النفس ٠٠ يعلمون أن كلام الصوفى على حق ٠

ــ الم تكن مثلنا من سنوات تسكر كما نسكر وتلهو كما نلهو وتسعد هذه السعادة الحيوانية التى نسعدها وتكتب الكفر بعينه فى كتابك الله والانسان فتسبق به الحاد الملاحدة فماذا غيرك من النقيض الى النقيض ٠

ــ سبحانه يغير ولا يتغير ٠

ــ أعلم أنك تقول أن كل شىء بفضل الله ٠٠ ولكن ماذا كان دورك ٠٠ وماذا كان سعيك ؟٠

ـ نظرت حولى فرايت ان الموت ثم التراب نكتة وعبثا وهزلا ورايت العالم حولى كله محكما دقيقا منضبطا لا مكان فيه للهزل ولا للعبث ٠٠ ولو كانت حياتى عبثا كما تصور العابثون ونهايتها لا شىء ٠٠ فلماذا أبكى ولماذا أندم ولما أتحرق والتهب شوقا الى الحق والعدل وافتدى هذه القيم بالدم والحياة ٠

رايت النجوم تجرى فى افلاكها بقانون ٠٠ ورايت الحشرات الاجتماعية تتكلم والنباتات ترى وتسمع وتحس ٠٠ ورايت الحيوانات لها اخلاق ٠٠ ورايت المخ البشرى عجيبة العجائب يتالف من عشرة آلاف مليون خط عصبى تعمل كلها فى وقت واحد فى كمال معجز ٠ ولو حدث بها خلل هنا او هناك لجاء فى اثره الشلل والعمى والخرس والتخليط والهذيان وهى أمور لا تحدث الا استثناء ٠٠ فما الذى يحفظ لهذه الآلة الهائلة سلامتها ومن الذى زودها بكل تلك الكمالات ٠

ورايت الجمال فى ورقة الشجر وفى ريشة الطاووس وجناح الفراش وسمعت الموسيقى فى صدح البلابل وسقسقة العصافير وحيثما وجهت عينى رأيت رسم رسام وتصميم مصمم وابداع يد مبدعة .

ورأيت الطبيعة بناء محكما متكاملا تستحيل فيها الصدفة والعشوائية .. بل كل شيء يكاد يصرخ .. دبرنى مدبر .. وخلقنى مبدع قدير .

وقرأت القرآن فكان له فى سمعى رنين وايقاع ليس فى مألوف اللغة وكان له فى عقلى انبهار .. فهو يأتى بالكلمة الاخيرة فى كل ما يتعرض له من أمور السياسة والاخلاق والتشريع والكون والحياة والنفس والمجتمع رغم تقادم العهد على نزوله أكثر من الف وثلاثمائة سنة .. وهو يوافق كل ما يستجد من علوم رغم أنه أتى على يد رجل بدوى أمى لا يقرأ ولا يكتب فى أمة متخلفة بعيدة عن نور الحضارات .. وقرأت سيرة هذا الرجل وما صنع .. فقلت .. بل هو نبى .. ولا يمكن ان يكون الا نبى .. ولا يمكن لهذا الكون البديع الا أن يكون صنع الله القدير الذى وصفه القرآن .. ووصف أفعاله .

قال صاحبى ـ بعد أن أصغى باهتمام الى كل ما قلت .. وراح يتلمس الثغرة الاخيرة :

ـ فماذا يكون الحال لو أخطأت حساباتك وانتهيت بعد عمر طويل الى موت وتراب ليس بعده شيء ؟

ـ لن أكون قد خسرت شيئا فقد عشت حياتى كأعرض وأسعد وأحفل ما تكون الحياة .. ولكنكم أنتم سوف تخسرون كثيرا لو أصابت حساباتى وصدقت توقعاتى .. وانها لصادقة سوف تكون مفاجاتكم هائلة يا صاحبى .

ونظرت فى عمق عينيه وأنا أتكلم فرأيت لأول مرة بحيرة من الرعب تنداح فى كل عين ورأيت أجفانه تطرف وتختلج .

كانت لحظة عابرة من الرعب .. ما لبث أن استعاد بعدها

توازنه ٠٠ ولكنها كانت لحظة كافيـــة لأدرك انه بكل غروره وعنـــاده ومكابرته واقف على جرف من الشك والخواء والفراغ وممسك بلا شيء ٠

قال لى بنبرة حاول أن يشحنها باليقين :

ـــ سوف ترى أن التراب هو كل ما ينتظرك وينتظرنا ٠

ـــ هل أنت متأكد ٠

وللمرة الثانية انداحت فى عينيه تلك البحيرة من الرعب ٠

قال وهو يضغط على الحروف وكأنما يخشى أن تخونه نبراته :

ـــ نعم ٠٠٠

قلت :

ـــ كذبت ٠٠ فهذا أمر لا يمكن أن نتأكد منه ابدا ٠

وحينما كنت أعود وحدى تلك الليلة بعد حوارنا الطويل كنت أعلم أنى قد نكأت فى نفســـه جرحا ٠٠ وحفرت تحت فلسفته المتهاوية حفرة ســـوف تتسع على الايام ولن يستطيع منطقه المتهافت أن يردمها ٠٠

قلت فى نفسى وانا أدعو له ٠٠ لعل هذا الرعب يحييه ٠٠ فمن سد على نفسه كل منافذ الحق بعناده لا يبقى له الا الرعب منفذا ٠

وكنت اعـــلم أنى لا أملك هدايته ٠٠ ألم يقل الله لنبيه ٠٠
(انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء)

ولكنى كنت أتمنى له الهداية وأدعو له بها فليس أسوأ من الكفر ذنبا ولا مصيرا ٠



الفهـــــرس

صـــدر للمؤلف

---

١ ـــ الله والانســـان ـ مجمـــوعة مقــالات كتبت فى صيف ١٩٥٥ ·
٢ ـــ اكل عيش ـ مجمـوعة قصـص قصـــيرة كتبت بين ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤ ·
٣ ـــ عنبر ٧ ـ مجمـــوعة قصـص قصـــيرة كتبت بين ١٩٥٥ ـ ١٩٥٧ ·
٤ ـــ شـلة الأنس ـ مجمـوعة قصص قصــيرة كتبت بين ١٩٦٢ ـ ١٩٦٤ ·
٥ ـــ رائحة الدم ـ مجمـوعة قصـص قصــيرة كتبت بين ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ ·
٦ ـــ ابليس ـ دراســـة كتبت فى عــام ١٩٥٧ ـ ١٩٥٨
٧ ـــ لغز الموت ـ دراســة كتبت فى عام ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩
٨ ـــ لغز الحيـــاة ـ دراســة كتبت فى عام ١٩٦٧ ·
٩ ـــ الأحـــلام ـ دراســة كتبت فى عام ١٩٦١ ·
١٠ ـــ اينشتين والنسبية ـ دراسة كتبت فى عام ١٩٦١ ·
١١ ـــ فى الحب والحيـــاة ـ مجمـــوعة مقــالات كتبت بين ١٩٦١ ـ ١٩٦٦ ·
١٢ ـــ يوميـات نص الليل ـ مجمـوعة مقــالات كتبت بين ١٩٦١ ـ ١٩٦٦ ·
١٣ ـــ المســتحيل ـ رواية كتبت فى عام ١٩٦٠ ·
١٤ ـــ الافيـون ـ رواية كتبت فى عام ١٩٦٤ ·
١٥ ـــ العنكبوت ـ رواية كتبت فى أوائل عام ١٩٦٥ ·
١٦ ـــ الخـروج من التـابوت ـ رواية كتبت فى أواخـــر عام ١٩٦٥ ·

١٧ ــ **رجل تحت الصفر** ـ رواية كتبت فى عام ١٩٦٦ ·
١٨ ــ **الاسكندر الأكبر** ـ مسرحية كتبت في صيف ١٩٦٣
١٩ ــ **الزلزال** ـ مسرحية كتبت في صيف ١٩٦٣ ·
٢٠ ــ **الانسان والظل** ـ مسرحية كتبت فى عام ١٩٦٤ ·
٢١ ــ **غوما** ـ مسرحية كتبت فى شتاء ١٩٦٨ ·
٢٢ ــ **الشيطان يسكن فى بيتنا** ـ مسرحية كتبت فى أبريل ١٩٧٣ ·
٢٣ ــ **الغابة** ـ رحلة الى أفريقيا الاستوائية كتبت فى أكتوبر ١٩٦٣ ·
٢٤ ــ **مغامرة فى الصحراء** ـ رحلة الى الصحراء الكبرى فى صيف ١٩٦٩ ·
٢٥ ــ **المدينة (أو حكايات مسافر)** ـ مجموعة سفريات الى أوروبا بين ١٩٥٦ ـ ١٩٦٨ ·
٢٦ ــ **اعترفوا لى** ـ مختارات من رسائل القراء بين ١٩٥٦ ـ ١٩٥٩ ·
٢٧ ــ **٥٥ مشكلة حب** ـ مختارات من رسائل القراء بين ١٩٦٠ ـ ١٩٦٦ ·
٢٨ ــ **اعترافات عشاق** ـ مختارات من رسائل القراء بين ١٩٥٦ ـ ١٩٦٦ ·
٢٩ ــ **القرآن محاولة لفهم عصرى** ـ دراسة كتبت فى شتاء ١٩٦٩ ·
٣٠ ــ **رحلتى من الشك الى الايمان** ـ دراسة كتبت فى عام ١٩٧٠ ·
٣١ ــ **الطريق الى الكعبة** ـ رحلة حج كتبت فى عام ١٩٧١
٣٢ ــ **الله** ـ دراسة كتبت فى أوائل ١٩٧٢ ·
٣٣ ــ **التوراة** ـ دراسة كتبت فى أواخر ١٩٧٢ ·
٣٤ ــ **الشيطان يحكم** ـ مجموعة مقالات كتبت بين ١٩٦٥ ـ ١٩٧٠ ·
٣٥ ــ **رأيت الله** ـ دراسة كتبت فى صيف ١٩٧٣ ·
٣٦ ــ **الروح والجسد** ـ مجموعة مقالات كتبت فى شتاء ١٩٧٣ ·

٣٧ ــ **حوار مع صديقي الملحد** ـ مجموعة مقالات كتبت فى مــارس ١٩٧٤ .

مجمــوعات المؤلفــات الكامــلة :

٣٨ ــ **قصص مصــطفى محمــود** ـ صــدرت عن دار العودة بيروت عام ١٩٧٢ .

٣٩ ــ **روايات مصــطفى محمــود** ـ صدرت عن دار العودة بيروت عام ١٩٧٢ .

٤٠ ــ **مسرحيات مصطفى محمود** ـ صدرت عن دار العودة بيروت عام ١٩٧٢ .

٤١ ــ **رحلات مصــطفى محمــود** ـ صــدرت عن دار العودة بيروت عام ١٩٧٢ .

حازت روايته « رجل تحت الصفر على جائزة الدولة عام ١٩٧٠

مطابع مؤسسة روز اليوسف

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٥٨/١٩٧٤

حوار مع صديقي الملحد

مصطفى محمود

الثمن ٥٠ قرشا

طبع بمطابع روز اليوسف